

ماهية الجمال والفن

د. عبد الله عووضه

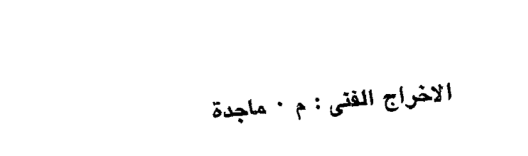
المكتبة الثقافية
٤٣٢

ماهية الجمال والفن

تأليف
د. عبدالله عووضه
استاذ مساعد ـ جامعة باتنة



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٨٨



الاخراج الفنى : م · ماجدة

اللهم يسر وأعن

الإهـــــــداء

الى الذين يحبون الجمال فى المجتمع أكثر من حبهم له فى فتاة أو لوحة ـ ومن ثم يحبون الخير والعدل ـ كابن عبد العزيز عمر قديما ، وابن عبد العزيز الملك فيصـــل حديثا . أهدى هذا الكتاب كفاء ما قدموا . أثابهم الله . آمين ..

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــــــــدمة

موضوع الجمال من الموضوعات التى شـــغلت الفكر الانسانى منذ عهد أفلاطون الى اليوم كذلك الفن٠ ورغم هذا ورغم ما أريق فيها من مداد كثير ، لم يتوصل الباحثون فيه ، والمفكرون ، والفلاسفة الى حقيقته ، أو حقيقة دوره فى الحياة ، أو حقيقة علاقته بالخير من ناحية ، والحق من ناحية ، أخرى ، والفن من ناحية ثالثة ٠

فمن قائل بذاتية الجمال ، ومن قائل بموضوعيته ، ومن قائل بعلاقة الجمال بالنفع ، ومن قائل بنفى هذه العلاقة فالفن للفن لا للحياة : وهكذا من النقيض الى النقيض ٠

هذا الوضع هو الذى جعل عالما كالدكتور أحمد فؤاد الأهوانى يقول عن الجمال : « ان هذا العلم حديث الميلاد لم يشب بعد عن الطوق ، فضلا عن صعوبة أخضاعه للمناهج العلمية · ولاتزال الكلمة الأخيرة فيه للذوق ·· والذوق شىء ليس فى الكتب كما يقال » ·

وبالمثل جعل أميرة حلمى مطر تقول : « هذا العلم الناشىء فى تاريخه وتطوره منذ أفلاطون حتى العصر الحديث »(١) · بل جعل « الفيلسوف الفرنسى ديكارت لا يعترف بعلم الجمال ، ولا بأى قيمة جمالية ، لأن الجمال فى نظره لا وجود له ، لأنه غير قابل للقياس »(٢) · الى غير ذلك مما قيل وهو كثير · هذا ملخصه ·

كل هذا يعنى أن هناك مشكلة . وأن هنالك دعوة ضمنية لحلها ، وأن الحل صعب ، الا أنه ممكن · على الأقل من حيث المبدأ ·

وعليه أخذت أحاول الحل (ولعل اهتمامى بموضوع الجمال منذ أن كنت طالبا بالجامعة كان احدى العوامل

---

(١) علم الجمال : دنيس هو يسمان : ترجمة أميرة حلمى مطر . مراجعة د. احمد فؤاد الأهوانى . ط ١٩٥٩ صفحة : ٤ .

(٢) رجاء جارودى : (المصور المصرى : العدد ٣٠٤٧ ، صفحة ٣٢) . هو المفكر الفرنسى الماركسى الذى أسلم : كان يقوم بتدريس علم الجمال فى الجامعات الفرنسية لسنوات طويلة .

الفعالة والدافعة فى هذه المحاولة) · وقبل المحاولة فكرت فى المنهج · وبعد تدبر رأيت أن أعتمد على تفحص الجمال الماثل فى الواقع ، وعلى اعمال الفكر ، أكثر من الاعتماد على ما قيل قبلا · بعد أن وصل الأمر الى وصف الجمال بما يشبه التناقض · فهو من عهد أفلاطون وحديث الميلاد كما قال د / أحمد فؤاد الأهوانى . وقالت أميرة حلمى مطر ـ ولا تناقض فى الواقع . ولكن هذا هو واقع الجمال · بل الى حد انكار وجوده جملة عند ديكارت ·

وهذا لا يعنى اهمال آراء الفلاســفة والمفكرين التى تناولت الجمال والفن ، ولكن يعنى الاعتماد على : الملاحظة، والتأمل ، واعمال الفكر فى الجمال الماثل كما كان يفعل الفلاسفة قديما · مع الاستعانة بما قيل قبلا فيه ، أذ من المستحيل التوصـــل الى شىء بغير الاستفادة من الجهود السابقة ، فلا شىء من لا شىء ، أو من فراغ ·

وعلى هذا أخذت أتأمل الجمال بالزخارف العربية ، ثم الجمال فى بقية الحسيات ، ثم الجمال فى المعنويات · كأنما الأمر دراسة علمية تقوم على الملاحظة والتجربة ، لا دراسة انسانية تقوم على الذهن والنظر ·

لم يخذلنى هذا المنهج ، فقد توصلت به الى مفهوم محدد للجمال يقبل التطبيق على الجمال حيثما وجد ، وكيفما وجد يقبل ويجيب على أى سؤال يطرأ على الذهن عن الجمال ·

سواء من حيث قضاياه أو من حيث علاقاته المتداخلة بالخير والحق وما الى ذلك ، يقبل دون أى شذوذ يعتذر عنه بعبارة « لكل قاعدة شواذ » ٠

ان الفضل فى هذا يرجع الى التوفيق فى المقام الأول ٠ ولولا هذا لكان غيرى من المتخصصين فى الفلسفة ، والقائمين بتدريس الجمال فى الجامعات بأوربا وغيرها أولى وأحق ٠ لكن ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ٠

أقول هذا لا تواضعا ، أو ادعاء للتواضع ، ولكن جزى الله امرأ عرف قدر نفسه ٠ وأيا كان الأمر ، فهى محاولة قد تصيب وقد تخطىء ٠ فان أصابت فذلك ما أبغى ٠ وان أخطأت فمعذرة قارئى الكريم ٠ والله أسأل ألا يخذلنا واياك ٠

وآخر قولى أرجو أن يتقبل الله هذا الجهد فلم أقصد به غير الحق ، والحقيقة ، ووجهه الكريم فى المقام الأول ٠ والله نسأله التوفيق والسداد ؟

عبد الله شيخ عووضه

باتنة ـ الجزائر فى يوم الثلاثاء

٢٣ شعبان ١٤٠٤ هـ ـ ٢٢ مايو ١٩٨٤



الجمـــال

الأصل اللغوى لكلمة جمال

لم اجد أحدا فى القديم أو الحديث من تحدث عن أصل كلمة «جمال» سوى الأستاذ أنيس منصور · وحتى هذا لم يعالج الأمر بكتاب وانما بمقال صحفى قال فيه : عندما كنت طالبا بقسم الفلسفة طلب منى أستاذى أن أبحث عن أصل هذه الكلمة ، فرجعت الى المراجع والمظان فلم أجد اجابة ، فاتجهت الى ذوى الاختصاص من العلماء والباحثين فلم أجد اجابة فقنع وقنع أستاذه ·

ثم عاودته الرغبة فى أن يكتب مقالا عن الجمال ، فأعمل فكره ، فتوصل الى أن « الجمال » من « الجمل » ، لأن الجمل أعظم الأشياء عند العرب ، لذا قالوا عن كل شىء أعجبوا به جميل(١) · ونحن نوافق الأستاذ على أن الجمل

---

(١) أخبار اليوم القاهرية : بتاريخ : ١٩٧٤/١٠/٢٦ : ١٢ ·

أعظم الأشياء عندهم · ولولاه لكانت الحياة بالصحراء مستحيلة· فهو يصبر على الماء والكلأ ، ويصبر على الحمل والركوب ، ومن وبره الغطاء ، والكساء ، والظل ، ومن لبن اناثه الغذاء والدواء والماء ، ومن بعره الوقود وبه يلعب الصبيان ، ومن جلده النعال وأشطان البئر ، ومن لحمه الطعام الوفير ، وله من الذكاء نسبة عالية · بهذا وغيره أصبح عملتهم واقتصادهم · ومع ذلك يبدو لى أن الجمل من الجمال لا العكس · فالجمل سمى جملا لأنه جمل عدة صفات تماما كما نقول « جمل » الشيء جمالا اذا شمل عدة مظاهر لا تعارض بينها · كما نقول « جميل » بصيغة الصفة المشبهه · ثم أدخلت «ال» على الفعل « جمل » للعهد أو الجنس ، كما دخلت على « القائم » و « الترضى » أعنى على اسم الفاعل والفعل · ثم التحمت بطول العهد بالفعل وأصبحت الكلمة عند الأجيال القادمة اسما لهذا الحيوان المعلوم بعد أن كانت فعلا ، وبعد أن كانت كلمتين تتكون من « ال » والفعل « جمل » يؤيد هذا أننا نقول « الحمل » لولد الضأن · وهو مأخوذ من الفعل « حمل » ، لأن الراعى يحمل ولد الضأن كثيرا أثناء طفولته لضعف فيه خلقة بهذه الفترة ، يحول بينه وبين متابعة القطيع فهو ليس كولد الماعز ذى النشاط المعهود · ثم أدخلت « ال » فأصبح « الحمل » ·

ويؤكده أن الجمـــال فى نفس العربى بحكم آدميته وانسانيته أسبق فى نفسه من « الجمل » واحساسه به أعم وأشمل ، ومن ثم ليس من المستساغ أن يبدأ الجمال بالجمل

ثم يعم بقية الكائنات ويعم المثل والقيم · لكن المستساغ أن يبدأ الجمال بالجمال لأنه شمل عدة أشياء لا تعارض بينها · ثم يخص الجمل عن طريق المجاز . لأنه شمل عدة صفات لا تعارض بينها قياسا على الجمال ·

ما الجمـــال ؟

اختلف موقف الفلاسفة ، والمفكرين ، والباحثين فى الاجابة على هذا السؤال · فريق قال : لا أدرى ، وفريق آخر ألقى اللوم على الجمال عندما لم يجد تعريفا له ، وفريق ثالث أخذ يصف الأشياء بالجمال دون تحديد لمفهوم الجمال ·· وكأن الأمر معلوم بالضرورة ، فاذا سرت معه لم تجد تحديدا لماهية الجمال أو تعليلا جماليا لأحكامه الجمالية · وفريق أخير قال : أدرى الا أن الاجابة قد اختلفت جدا ·

فمن الذين قالوا لا ندرى فرويد حيث يقول : « ان موضوع الجمال هو آخر ما يمكن أن تدلى فيه نظرية التحليل النفسى برأى »(١) بالرغم من أن نظرية التحليل النفسى

---

(١) فلسفة تاريخ الفن : ٩٣ ·

تبحث فى اللاشعور دعك من المدركات الحسـية والمعنوية كالجمال ٠

ومن الذين ألقوا اللوم على الجمال « باببر » حيث يقول : « القانون الأوحد للجمال أنه ليس للجمال قانون »(٢) ٠ وسيد قطب حيث يقول : « ان نظريات الجمال لاتزال غامضة يصعب فيها التحديد والايضاح »(٣) ٠

ومن الذين أخذوا يصفون الأشياء بالجمال . ويتحدثون عن الجمال ٠ وكأن الجمال شىء معلوم بالضرورة سارتر فى حديثه عن « الموضوع الجمالى »(٤) ٠

أما الذين عرفوا الجمال ، واختلفت اجابتهم جدا ، فهم كثر ، نذكر منهم أرسطو الذى يقول : « الجمال فى الكائن الحى والشىء المكون من أجزاء يجىء من عدم التناهى فى الكبر والتناهى فى الصغر ، بحيث تستطيع العين ادراكه ، كذلك المأساة من حيث الحجم »(٥) ٠ ومنهم أفلوطين ، وتوماس الأكوينى ، وشيلر ، وكروتشيه ، الذين يرونه « فى

---

(٢) فلسفة الفن : ٣٧٦ ٠

(٣) النقد الأدبى أصوله ومناهجه : ١٠٠ ٠

(٤) فلسفة الفن : ٢٣٣ ٠

(٥) فن الشعر لأرسطو : ترجمة د. عبد الرحمن بدوى : ٣٢

القدرة على ترجمة ما النفس »[٦] · ومرة أخرى يراه أفلوطين ، وسانت أوغسطين ، وتوماس الأكوينى ، وكروتشيه » فى دقة المحاكاه »[٧] ·

ومنهم » كانط » الذى يقول : الجمال حالة من الوجد تمتع دون غاية ودون مفهومات ، ومنهم أتباع لبس الذين يرونه : فى مدى التشابه بين أرواحنا ، وأرواح الأشياء[٨] ·

وهذا الفهم قريب من فهم كانط وكلا الفهمين يشبهان حالة المتصوفة عندنا بالاسلام · ومنهم عندنا بالشرق العقاد الذى يقول : » الجمال هو الحرية ، ان الماء الجارى أجمل من الماء الآسن »[٩] ·· والزيات الذى يقول : «الجمال قوة ووفرة وذكاء »[١٠] · والدكتور عبد الله الطيب الذى يقول : «الجمال خصال مدركة بالحواس»[١١] · لكن ماهى

---

(٦) الأسس الجمالية فى النقد العربى : ٤٢ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٥٩ على التوالى .

(٧) الأسس الجمالية فى النقد العربى : ٥٠ ، ٥٣ ، ٥٤ على التوالى .

(٨) الأسس الجمالية فى النقد الأدبى : ٥٠ ، ٥٣ ، ٥٤ على التوالى .

(٩) مطالعات فى الكتب والحياة : ٢٥٠ وايضا مراجعات فى الآداب والفنون : ٦١ .

(١٠) وحى الرسالة ١ : ٤٠٣ .

(١١) المرشد الى فهم أشعار العرب : ٤٨٧ .

هذه الخصال ؟ لم يتكرم بالتوضيح · ليته لو فعل · لاسيما وقد كان فى مجال دحض ذاتية الجمال عند كانط . ليقول بموضوعيته عنده ·

هذه مجرد أمثلة لمن عرفوا الجمال · ومن لم نتكرهم أضعاف هؤلاء · وبالرغم من كل هذه المحاولات مع اختلاف زمانها ومكانها ورجالها « لم يمكن الوصـــول الى تعريف نهائى للجمال»(١٢) · كما يقول الدكتور عز الدين اسماعيل بحق · بل «غدا علم اجتماع المعرفة غير قادر على أن يقدم قاعدة عقلية لعلم الجمال ، ومن ثم للنقد والتقويم »(١٣) كما يقول أوستن وارين . ورينه ويليك ·

وهكذا نجد البعض يحاول التعريف ، والبعض يتوقف، والبعض يلقى اللوم على الجمال ، والبعض يحكم على الأشياء بالجمال دون تحديد لماهية الجمال · هذا ما كان قبلا · فما الجمال اذن ؟

الجمـــــــال

الجمال كما توصلت اليه « تمازج وتمايز بين عدة وحدات يربطها رابط أساسى » · وأوضح ما يكون ذلك فى المرئيات كالأشكال الهندسية التى نجدها فى الزخارف العربية الاسلامية بالمساجد والقصور · ولنضــــرب مثلا · هذا

---

(١٢) الأســس الجمالية فى النقد العربى : ٦١ ·

(١٣) نظرية الأدب : ١٣٩ ·

الشكل ◯ لاجمال فيه، فان تمازج بهذا الشكل

كان فيه بعض الجمال مع رتابة مملة، فان

تمازج بهذا الشكل كان أكثر جمالا · الرابط

الأساسى بين هذه الوحدات هو الدائرة · فان أعطى شكلا كاملا ، لنبات أو حيوان أو انسان ، أو أى خبرة سابقة ، أو مبتكرة ، بلغ الجمال حد الكمال فى هذا المجال · وكلما كثرت الوحدات وتنوعت وتمازجت وتمايزت ، وأعطت شكلا معينا ، كان الجمال أبلغ · وأبلغه ما كان مألوفا · لا الى حد الابتذال ، ولكن الى حد ما ، فالتمازج بين وحدات خمسة أجمل من أربعة ، وبين اثنين أجمل من واحدة مع نفسها وهكذا ·

والأمر بالمثل فى المسموعات والمعنويات ، الا أنها لا تدرك بالعين المجردة · مثلا قول أبى تمام :

السيف أصـــدق أنباء من الكتب
فى حــده الحــد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لا ســود الصحائف
فى متونهن جلاء الشك والريب[١٤]

ففى هذين البيتين نجد التمازج والتمايز بين السيف

---

(١٤) ديوان أبى تمـام ١ : ٤٥ .

والكتب ، وبين « من » و « فى » ، وبين « الحد » و « الحد » وبين «الحد » و « الجد » ، وبين « الجد » و « اللعب » ، وبين « بيض » و « سود » ، وبين «الصفائح» و «الصحائف» بالطباق مرة ، وبالجناس مرة أخرى ·

ولا يتحتم أن نجد كل هذا فى كل بيت من الشعر نقرؤه ولكن قد نجد قدرا منه ، وقد لا نجد شيئا من هذا البتة ، الا الوزن والقافية التى تربط القصيدة ككل ، ففى هذه الحالة يكون البيت برمته وحدة تمازج وتمايز بين أبيات القصيدة · فالضابط أو المقياس التمازج والتمايز · فلا جمال اذا حدث تمازج الى حد الاختلاط ، كما هى الحال فى بعض اللوحات السريالية · صحيح هى تمثل وجهة نظر بفلسفة معينة ، لكن هذا شىء وتمثل الجمال شىء آخر · ولا جمال اذا حدث تمايز الى حد التقابل · مثلا بيتى ابن المعتز :

بدر وليـــل وغصـــن
وجـــه وشـــعر وقـــد

خمـــــر ودر وورد
ريق وثغـــر خـــد (١٥)

لخلوه من التمازج ، لأن كل كلمة فى البيتين قابلتها كلمة أخرى فى الشطرة الثانية بالعد والترتيب ، ففقدت عنصر الجمال بالرغم من وجود الوزن والقافية · وهذا يؤكد أن الشعر ليس مجرد وزن وقافية ·

---

(١٥) العمــدة ١ : ١٩١ ·

وبالمثل لا جمال فى السياسة يلوكها البعض تسبيح قول بالأدب ، كذلك الوعظ بالمواقف الدينية ، للعلة ذاتها ٠٠ بمعنى أن هذا اللون من الأدب أو الكلام لا يؤثر لخلوه من الجمال ، أو التمازج والتمايز بعبارة أوضح ٠

والأمر بالمثل فى المجتمع ٠ ففى المجتمع الذى تحترم فيه ذاتية الفرد وتشجع ، وتحارب فيه الفردية ٠ وتحترم فيه القيم والمثل قبل القانون ، يكون التمايز والتمازج ، ومن ثم الجمال ٠ كما كانت الحال بعهد العمرين ٠ وكما هى الآن بالمجتمعات القبلية الرعوية كمجتمع قبيلة الدينكا ، والشلك ، والنوير ، والزاندى ، والمسيرية ، والرزيقات ، وغيرها من قبائل السودان الرعوية ٠ وكما هى الآن بالمجتمع الانجليزى نسبيا ، الذى يحكم بدستور لم يصغ حتى هذه اللحظة ٠

فلا جمال فى مجتمع نرى فيه قصرا يطل على أكواخ ، ولا فى مجتمع يحكم بالدكتاتورية ٠ سواء أكانت فردية أو جماعية ٠ وسواء أكانت صريحة أو مؤولة (مغلفة) بل ان الصريحة أهون ، اذ بها الصراحة والأمانة فى الأقل ٠ ولا فى مجتمع تذاب فيه ذاتية الفرد من أجل المجموعة ، أو ذاتية المجموعة من أجل الفرد ٠ وهنا تظهر عبقرية الشـــعوب العريقة ، التى جعلت من الاحتفاظ بذاتيتها العامل الأول للأخذ بأسباب الحضارة والتقدم العلمى كاليابان والصين ٠ لا كما توهم البعض أو أوهم بأن العامل الأول للأخذ بأسباب

الحضارة والتقدم هو التنكر للشـــخصية ، والتخلى عن التراث والأصالة ٠

هذا هو الجمال ، وجوهره ، وفلسفته ، فى الزخارف ، والأدب ، والمجتمع ، ذكرتها أمثلة لغيرها ٠ كذلك الحال فى بقية الفنون ، وفى بقية مظاهر الحياة ٠

بهذا الفهم لجوهر الجمال استطعت أن أدرك كيف جملت كلمة « رؤوس الشـــياطين » فى قوله تعالى « طلعها كأنه رؤوس الشـــياطين »(١٦) ٠ وقد أخذت من القدماء وقتا وتبريرات كثيرة(١٧) ٠ على ما بها من بشاعة وقبح هما سبب الجمال فى هذا الموضع ، وكيف جملت كلمة « غذورا » فى قول زينب بنت الطثرية فى رثاء أخيها يزيد :

فتى قد قد الســـيف لا متضائل
ولا رهـــــل لبـــاته وبآدله

فتى لا ترى قد القميص بخصره
ولكنمـا توهى القميص كواهله

اذا نزل الضـــيفان كان عذورا
على الحى حتى تستقل مراجله

---

(١٦) الآية : ٦٥ من سورة الصافات ٠

(١٧) انظر الكامل للمبرد ٢ : ٦٩ ٠

ترى جازريه يرعدان · وناره
عليها عداميل الهشيم وصامله(١٨)

على مابها من سماجة وقبح فالعذور السيىء الخلق الضجر المتضـــجر غير المحتمل · وهنا الذى لا يرضى على أهله ساعة الضيفان مهما كان عملهم دؤوبا ، فهو ينادى قلقا : أين كذا وأين كذا ؟ ·· وقد يكون الشيء الذى يسأل عنه أمامه ، والعمل يسير فيه قدما ، ولكن قلق الأريحة يدفعه دون خاطر الى ذلك ، فلا يكف حتى تستقل مراجله ، لأن الأمر أصبح بيد النار ، وليس باستطاعة الزوجة أن تفعل شيئا غير الانتظار · والواقع أن باله لم يهدأ ولكن بالها هوالذى هدأ من أسئلته الحاثة لها ظلما ، بعد أن وجدت من النار مجيرا ، فالطعام على النار بالمشاهدة ، فيسكت مضطرا · هذه صورة تقريبية لما فى البيت، وعذورا منه على وجه التحديد · أما الصورة كاملة فلا يمكن نقلها الا عن طريق المشاهدة الواقعية · وحسبى ما حاولت من ابراز قبح هو مصدر الجمال ، لأنه مثل أريحة الكرم ·

---

(١٨) الأغـانى ٨ : ٨٤ والبيان والتبيين ١ : ١٨٦ . لباته : اعالى صـدره . بآدله : جمع بادلة مقدمة العنق من الذقن الى النحر . توهى : تهلهل . كواهله : ما بين المنكبين . وهـذه كناية . فقد كانت العرب ترى من السيادة ألا يشبع الرجـل لذا يبلى القميص بنتؤ العظام . ومردوم اللحم يبليه باليتيه وكليتيه . علورا سيىء الخلق . تستقل : توضع على النار . مراجله : قدوره . جازريه : جزاريه . عداميل : جلوع الاشـجار القديمة تقتلع باليد عند الاحتطـاب . صامله : الكتل الصماء .

وعلى العكس من ذلك كيف قبحت كلمة « صقيل » بقول المتنبى :

أفدى ظباء فـــــلاة ما عرفن بها
مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيب
ولا برزن من الحمـــام مـــــائلة
أوراكهن صـــقيلات العراقيب(٢٠)

فهى من حيث هى جميلة جدا · ولكنها بهذا الموضع قبح معناها وقبحت هى معه · ومع ذلك أعنى مع قبحها ليس من كلمة أجمل منها حيث هى · وليس فى هذا شىء من التناقض ، فقد اكتسبت جمالا آخر بعد أن أصبحت وحدة تمازج وتمايز فى هذا البناء الجديد ، فكان القبح من حيث كان الجمال ، وكان الجمال من حيث كان القبح · منطق غريب ، ولكنه منطق الوجدان والفن الذى لا يرد ·

وبهذا الفهم أيضا أمكن تقدير وتقويم المحاولات السابقة فى مجال الحديث عن الجمال ، الموفق منها والمخفق · فمن الموفق فى تقديرى قول أفلاطون : (الأشياء ليست جميلة جمالا مطلقا)(٢١) · وقول هوراس : « من الممكن أن يصبغ الشاعر الكلمات العادية المألوفة بصبغة شاعرية رائعة»(٢٢) ·· وقول عبدالقاهر الجرجانى : (الكلمة لا تحسن أبدا ولا

---

(٢٠) ديوان المتنبى ١ : ٢٩٢ ·
(٢١) الأسس الجمالية فى النقد الأدبى : ٣٥ ، ٣٦ ·
(٢٢) كرومبى : ١٤٩ ·

تقبح أبدا ولكن النظم هو المقيـــاس)(٢٣) • وملاحظة موكاروفسكى : « ليس هنالك معيار جمالى ثابت ، لأن من خصائص المعيار الجمالى ألا يكون ثابتا »(٢٤) • وقول بايير : « كل عملى فنى تشع من خـــلاله كيفيته الجمالية الخاصة »(٢٥) •

لأن كل هذه الأقوال تعنى بصـــورة أو أخرى التمازج والتمايز • وعلى هذا فشعار هذه الكلمة شاعرية ، وهذه غير شاعرية وهم لا وجود له •

ومن المخفق فى تقديرى أيضا قول أرسطو : « فنحن نسر برؤية الصورة لأننا نفيد من مشاهدتها علميا ، كأن نقول ان هذه صورة فلان ، فان لم نكن قد رأينا موضوعها من قبل ، فانها تسرنا لا بوصفها محاكاة ، ولكن لاتقان صناعتها ، أو لألوانها ، أو ما شاكل ذلك »(٢٦) • لأنه خلط بين ادراكنا للجمال من ناحية ، وســـرورنا به من ناحية أخـــرى، وبين المقدرة الفنية على الترجمة عند الفنان ، واعجابنا بهذه المقدرة ، رغم اختلاف هذه الجوانب ••

---

(٢٣) انظر دلائل الاعجاز : ٤٤ وما بعدها .

(٢٤) فن الشعر : د. احسان عباس : ٢٠٠

(٢٥) فلسفة الفن : ٣٦٠ .

(٢٦) فن الشعر : لأرسطو : ترجمـــة : د. عبد الرحمـن بدوى : ١٢ .

وسيتضح هذا أكثر عندما نتحدث عن الجوانب الأخرى عن الجمال فيما بعد ..

ولا تعنى هذه الملاحظة النيل من مكانة أرسطو ، فهو اكبر من هذا وأجل . ولكن تعنى مناقشة جزئية من آرائه ، بحكم تطور المعرفة . وقول جوته : « ان دور الفنان لا ينحصر فى خلق الجمال ، بل فى ابداع وحدات متماسكة ذات طابع خاص »(٢٧) ، لأنه خلط بين جوهر الجمال وجوهر الفن . وقول كاسيرر الذى يفرق فيه بين الجمال الطبيعى والجمال الفنى(٢٨) . لأن الجمال هو الجمال أيا كان ومتى كان ولا فرق الا أن الجمال فى الطبيعة عفوى ، والجمال الفنى مقصود وهذا فارق شكلى لا يقدح فى القيمة الجمالية فى الجمال بعد أن يتخلق فى الواقع المدرك . فقد يكون جمال الطبيعة أروع من الجمال الفنى . وقد يكون أقل ، وقد يكون مساو . لكن بشكل عام انتاج الطبيعة أقل فى الكم من الانتاج البشرى ، فان وجد كان أروع من الجمال الفنى وهذا لا يرجع الى القيمة الحقيقية للجمال من حيث هو ، ولكن يرجع الى عامل الندرة فى الجمال الطبيعى أكثر من أى شىء آخر .

وقول سارتر « ولذا لا يعد الجمال الطبيعى فى شىء

---

(٢٧) فلسفة الفن : ٣٨٠

(٢٨) فلسفة الفن : ٣٩٠ .

دعوة موجهة الى حريتنا »[٢٩] · ولو قال فى الطبيعة بدل « الجمال الطبيعى » لكان أوفق ، لأنه لا يوجد جمال طبيعى وجمال فنى ، ولكن يوجد جمال فى الطبيعة ، وفى الموسيقى ، وفى الأدب ، وفى المجتمع ·· وهكذا ··

وقول كروتشـــيه : « ان الجمال يقف عند حد الناحية التعبيرية ولا دخل له بالناحية العملية »[٣٠] · لأنه يجعل من الجمال حظا ، ومن نفسه أميرا يمنح الأدب الجمال ويحرم المجتمع والناس منه ، رغم أن الانسان أعظم رأس مال كما يقول كارل ماركس بحق · بقطع النظر عن السياسة ونحن عنها بمنأى · أليس من الجمـــال أن تكون طبقات المجتمع متوازنة بقدر ما تسمح به طبيعة الأشياء والحياة · فالجمال هو الجمال نظريا ، وفنيا وعمليا ·

ومثله قول ســـارتر : « فبالرغم من أن الأدب شيء والأخلاق شيء آخر »[٣١] ولست أدرى كيف يفصل بين الأدب والأخلاق ، وهو الكاتب الملتزم ؟ والوجودية أكثر الفلسفات اهتماما بالانسان ؟! كيف ؟ ربما كان هنالك قصور فى الفلسفة الوجودية فى هذا الجانب ، أو قصور فى فهمها لجوهر الجمال · وما أظن أن هذا لسوء نية ، أو نحو من هذا ·

---

(٢٩) الأدب : سارتر : ترجمة : د· محمد غنيمى هلال ٦٣ .
(٣٠) علم الجمال والنقد الحديث : ٨١ .
(٣١) الأدب : سارتر : ترجمة د· محمد غنيمى هلال : ٣٧ .

كذلك قول أستاذنا حامد عبد القادر : « الشيء الجميل محبوب لذاته لا لشيء آخر خارج عنه كالمنفعة »[٣٢] .
كذلك قول جوتييه (١٨١١ ـ ١٨٧٢ م) وهو من طلائع البرناسيين ، فى دعوته الى مذهب الفن للفن فى الأدب : « لا وجود لشيء جميل حقا الا اذا كان لا فائدة له ، وكل ما هو نافع قبيح »[٣٣] . وهذا تطرف منه بالغ .

وقول العقاد : « الجمال هو الحرية »[٣٤] . لأن فيه خلطا بين جوهر الجمال ، وأثره فى الشيء الجميل .

وقول أستاذى أحمد الشايب الذى يجعل من صفات الأسلوب الأمثل : الجمال ، والقوة ، والوضوح[٣٥] فيجعل الجمال شيئا غير الوضوح ، ويجعل الوضوح شيئا قائما بذاته . وهذا غير موفق ، لأن القوة والوضوح صفتان من صفات الجمال لا شيء آخر خارج عنه .

وسيتضح كل هذا عند حديثنا عن أثر الجمال على الشيء الجميل ذاته ، وعن الجمال والنفع .

---

(٣٢) دراسات فى علم النفس الأدبى : ١٠٢ .

(٣٣) فلسفة الصورة فى شعر البرناسيين : د. محمد غنيمى هلال : مجلة المجلة : سبتمبر ١٩٥٩ : ٨٩ .

(٣٤) مراجعات فى الأدب والفنون : ٦١ وأيضا مطالعات فى الكتب والحياة : ٢٥٠ .

(٣٥) أصول النقد الأدبى : ٢٥٩ . وأيضا الأسلوب : ١٧٧ .

الرابط الأســـاسى

قلت قبلا : الجمال تمازج وتمايز بين عدة وحدات · وفى كل جمال يوجد رابط أساسى ، وروابط فرعية أخرى ·· ففى الرسم يمكن أن يكون اللون العام هو الرابط الأساسى ·· وفى الفن العربى الاسلامى يمكن أن تكون الدائرة أو المربع هو الرابط الأساسى · وفى الموسيقى يمكن أن يكون اللحن العام هو الرابط الأساسى · وفى الرقص يمكن أن تكون نقلة معينة هى الرابط الأساسى ·

وأكثر الفنون حاجة الى الرابط الأساسى هو الشعر ، لأنه يحتوى على عدة وحدات متنوعة ، فالأفكار بالقصيدة وحدة ، والصور الشعرية وحدة ، والبحر وحدة ، والكلمات وحدة ، وتركيبها وحدة ، ·· ولعل هذا الاحتياج هو الذى

جعل مارتن هيدجر يقول : « كل فن انما هو فى جوهره ضرب من الشعر »(١) ٠

والرابط الأساسى فى الشعر يختلف من قصيدة الى أخرى ٠ فقد يكون وجد الحزن هو الرابط الأساسى اذا كان الموضوع رثاء ، أو وجد الفرح اذ كان الموضوع فخرا بانتصار أو نحو ذلك ٠٠ وهكذا ٠٠

بجانب هذا الرابط الأساسى ، توجد روابط أخـرى فرعية : كالجناس ، والتورية ، أو الصورة الشعرية بشكل عام ٠ وأهمية الرابط الأساسى انه يجعل جميع الروابط الفرعية تدور حوله ، اذا كانت التجربة الشعرية صادقة ٠ فلا نجد فكرة ، أو كلمة ، أو صورة تند عنه ٠ وانما نجد التآزر التام بين الجميع طبقا للحالة النفسية ، وقانون تداعى المعانى ٠

هذا الوضع أعنى هذا الرابط هو الذى يجعل الشاعر ينظر الى الشىء بعين الرضا فيمدح ، وينظر اليه ذاته بعين الغضب فيذم ٠ وبالأولى اذا كانت النظرة للشىء الواحد من شاعرين مختلفين فى الطبيعة ، والخلق ، والحالة النفسية ٠٠ والأمثلة على هذا كثيرة نذكر جانبا منها لتوضـــيح الفكرة ٠

---

(١) فلسفة الفن : ٢٧٦ ٠

الشيب مثلا عند الفرزدق نجوم تزين ليل الشباب :

تفاريق شـــيب فى الشباب لوامع
وما حســـن ليل ليس فيه نجوم

وهو بعينه عند الشريف الرضى تبعا لحالته النفســية ، وما أثارته من رابط أساسى ، سيف مرفوع فوق الهامة :

غالطونى فى المشـــيب وقـــالوا
لا ترع انه جـــلاء حســـام

قلت : ما آمن من على الرأس منه
صـــارم الحـــد فى يد الأيام ؟!

وأكثر من هذا قد ينظر الشاعر نفسه الى الشىء ذاته فى آنين مختلفين ، فيذمه مرة ، ويمدحه أخرى · تبعا لحالته النفسية ، كما فعل ابن خفاجة الأندلسى بشجرة عليها نور. وصفها مرة بفتاة عليها ملاءة بيضاء ، وأخرى شـــبهها بشمطاء شاب شعرها ·

مثال آخر : تقص كتب الأدب(٢) أن الرجل من قبيلة نمير كان اذا سئل : ممن الرجل ؟ قال : نميرى · ومد صوته اعتزازا بها ، لأنها كانت احدى جمرات العرب ، حتى قال جرير فى هجائه لعبيد بن حصين :

فغض الطـــرف انك من نمـير
فـــلا كعبـــا بلغت ولا كـــلابا

---

(٢) الأدب العربى وتاريخه : محمد هاشم عطية : ١١٨ .

فأخزاهم ، فأخذوا ينتسبون الى عامر بن صعصعة تفاديا لنمير ..

ويحكى كان لقبيلة باهلة عبد يرد سوق البصرة . فيعبث به النميريون ، فحفظه مواليه البيت ليرد به عليهم فلما اجتاز بهم نسى البيت ، فقال : غض والا جاءك ما تكره ، فكفوا عنه .

ويحكى : مرت بهم جارية فأحدوا اليها النظر .. فقالت : يامعشر نمير ما امتثلتم لواحدة من اثنتين ، لا لقوله تعالى « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم » ، ولا لقول الشاعر ، وقرأت البيت . فتألموا كأنما نزلت عليهم صاعقة .

وفى النثر كان الزبرقان بن بدر ، وعمرو بن الأهتم بحضرة النبى (ص) ، فسأل النبى عمرو عن الزبرقان ، فأثنى عليه . فقال الزبرقان ليعلم عنى أكثر من هذا ، الا أنه حسدنى . فقال عمرو : أما أنه قال هذا . فانه ماعلمت لكذا وكذا وذمه . فأبدى النبى انكاره لهذا التناقض . فهو اما كاذب فى القول الأول ، واما باهت فى القول الثانى . وفى كلا الحالتين أمام النبى . فقال عمرو : رضيت يارسول الله فقلت أحسن ما علمت ، وغضبت فقلت أسوأ ما علمت . فسر النبى لهذا المنطق المقنع ، وقال قولته المشهورة :

« ان من البيان لسحرا »

هذا التآزر لا يوجد فى التصوير ـ مثلا ـ الا اذا كان ينقل المصور لحظة نفسية معينة لمن هو بالصورة ، ففى هذه الحالة ينبغى أن يكون كل ما فى الصورة أو اللوحة بعبارة أدق ، يدعو الى الحزن ، اذا كانت اللحظة لحظة حزن ، أو يدعو الى البهجة اذا كانت اللحظة لحظة بهجة ·· فلا يحسن أن نجد طبيعة متفتحة أمام شخص كئيب . الا اذا كان هنالك تكلف أو سوء فهم للفن فهذا شىء آخر ·

وهذا الفارق بين الشعر وغيره يرجع الى طبيعة الشعر المغايرة لطبيعة غيره فى هذا الجانب ، أعنى أن الرابط الأساسى بالشعر والأدب بعامة رابط معنوى · وبالرسم وأضرابه حسى · وأن الكلمة وهى أداته بحكم أنها تمثل اللغة · واللغة ذروة ما وصل اليه الانسان من وسائل التعبير قادرة على نقل عدة لحظات ، وقادرة على نقل شــــعور الشاعر ، وشعور غيره فى أى لحظة من تلك اللحظات ·· بينما لا يستطيع الرسام أن ينقل غير لحظة واحدة ، وغير شعور غيره فيها ، ويقف عاجزا تماما عن نقل شعوره هو فيها أو شعوره نحو من هو فيها ، الا بطريق غير مباشر · فهذا شىء آخر يشترك فيه الشعر والرسم بدرجة واحدة · وهذا جانب سوف نوفيه حقه من البحث عندما نتحدث عن علاقات الفنون بعضها ببعض فيما بعد ·

الحـــق لا الحقيقـــة

الحقائق العلمية لا جمال فيها ، لأنها تدل على واقع مجرد ، لا تمازج فيه ولا تمايز · وفى الحق يوجد الجمال دائما ، لأنه يمثل واقعا مركبا يتمازج ويتمايز ، فى الفنون وفى المجتمع ، وفى الحياة بعامة ·

ومن الممكن أن تكون الحقيقة جميلة ان أصبحت وحدة تركيب جمالى تتمازج فيه وتتمايز · كقول الشاعر السودانى حسن طه :

كفـــاحهم فعــــل مضى فهو ناقص
وأما كفاح الشـــعب فعل مضـــارع

ســـــيلقون عند الـــكادحين جزاءهم
متى ازدحمت بالكادحين الشوارع(١)

(١) هتاف الجماهير : ٤٩ ·

فيه جمال ملموس مع ما فى قواعد النحو من جفاف ، لأن الماضى الذى يدل على الزمن الماضى ، والمضارع الذى يدل على الحاضر والمستقبل ، أصبحا وحدة من وحدات العمـــل الشـــعرى هنا ، كالقافية ، والوزن ، والوجد ، والفكرة سواء بسواء ٠ وبالمثل حكم المتنبى جميلة ممتعة فان قرأنا معناها فى كتب الفلاسفة وعلماء النفس ، نجدها مجرد حقائق لا جمال فيها ، حتى ولو كانت منظومة شعرا ، كجوهرة التوحيد ، وألفية ابن مالك ٠ وقريب من هذا وليس به شعر صالح بن عبد القدوس قال الجاحظ : « قالوا لو كان شعر صالح بن عبد القدوس وسابق البربرى مفرقا فى أشعار كثيرة لصــارت تلك الأشـــعار أرفع مما هى عليه بطبقات ، ولصار شعرهما نوادر سائرة فى الآفاق ، ولكن القصيدة اذا كانت كلها أمثالا لم تسر ولم تجر مجـــرى النوادر ، ومتى لم يخرج السامع من شىء الى شىء لم يكن لذلك النظام عنده موقع »(٢) ٠

ولعل كلمة كلينث بروكس « نحن نقدر الوحدة المنطقية حينما ترد فى القصيدة لا لنفسها ولكن كجزء يمكن ادخاله فى الوحدة الكبرى »(٣) تعنى ما أقصده تماما ٠

---

(٢) البيان والتبيين ١ : ١٧٧ ٠

(٣) علم الجمال والنقد الحديث : ١٤ ٠

وحدة الصدفة فى الجمال

الجمال كما قلت من قبل عبارة عن مجموعة وحدات يحدث بينها التمازج والتمايز · وعندما يتم ذلك تخلق وحدة الصدفة ·

وهذه لا تخضع لارادة أو تفكير ، وغير مرئية ، ومع ذلك هى موجودة لا يخلو منها أى جمال فى الكون · والأمر فيها أشبه ما يكون ببدل الاشتمال فى قولنا : أعجبنى نظام الحجرة · فالنظام ليس سريرا أو منضدة ، أو لوحة فى الحجرة ، ولكن علاقات هذه الأثاثات مع غيرها ·· وأكثر ما تكون وحدة الصدفة وضوحا فى الطهى · فبعض النساء لطعامهن دائما طعم لذيذ ونكهة خاصة لا نجدها عند غيرهن ·· ولا تعليل لهذا غير وحدة الصدفة · غير أن البعض يقول هذا يرجع الى نفس الطاهية أو أنفاس الطاهية · وهذا تعليل أسطورى يريح النفس ولكن لا يقنع العقل ·

وبالمثل فى أذواق الملابس التى تنتجها الشـــركات ٠ فبالرغم من محاولة المصمم لأن يكون ذوق القماش رائعا ٠ فقد يكون ، وقد لا يكون ٠ ومن هنا نجد بعض الأقمشة يشتد عليها الطلب ، والبعض لا يسأل عليه أحد ٠

كذلك الشأن فى اللوحات ، والقصـائد الشـــعرية ، والموسيقى ، وفى كل جمال فى الكون ٠ ولأنها تخضع للصدفة المحضة كانت استحالة اعادة التجربة الجمالية ولا أقول الشعرية ، ولو كانت محاولة الاعادة من الفنان نفسه ٠ فقصيدة كمعلقة عنترة لا نجد لها مثيلا بديوانه ، ولابدواوين غيره من الشعراء حتى اليوم بل والغد ٠

وهذا ما يجعل دواوين الشعراء لا يستغنى عنها مهما كثرت وتنوعت وأوغلت فى القدم ، لأن كلا منها يحمل جمالا لا يوجد فى غيرها ٠ بينما نجد كتب العلوم والرياضيات ٠٠ اذا ظهر منها كتاب نسخ الأول واستغنى به عنه ٠ ويجعل لوحة كلوحة « الجوكوندا » ترتفع قيمتها كلما تقدم الزمن، وجعل بايير يقول : « أن الفن ليس فلسفة واذا كان لابد من كلمة فلسفة فهو فلسفة النجاح »(١) ٠

---

(١) فلسفة الفن : ٣٦٠ ٠

ادراك ... الجمال

من الملاحظ أن الجمـــال يدرك أولا ثم يعلل ، على النقيض من الأشـــياء المادية عامة • وقديما قال أفلاطون وأفلوطين : « الروح هى التى تدرك الجمال أما الحواس فلا تدرك غير انعكاســات هى ظلال الجمال »[١] • وقال عبد القاهر الجرجانى : « اقرأ الشعر وراقب نفسك فاذا رأيتك قد ارتحت واهتززت واستحسنت فأنظر الى حركات الأريحة مم كانت وعند ماذا ظهرت »[٢] •

وحديثا قال كانط : « ان ادراك العلاقات بين الأشياء وهو مظهر جمالها لا يحدث تفصيلا وانما يتم جملة »[٣]

(١) الأسس الجمالية فى النقد العربى : ٢٩ •
(٢) دلائل الاعجاز : ٦٧ ، ٦٨ •
(٣) الأسس الجمالية فى النقد العربى : ١٢٣ •

ويقسم كروتشيه فى كتابه نظرية الجمال « المعرفة الانسانية الى معرفة حدسية ومعرفة منطقية »(٤) ويقول محمد عشرى الصديق : « المحك لمعرفة الشىء المبتكر هو الشعور بنشوة روحية عند قراءته أو رؤيته أو سماعه »(٥) ·

وصفوة القول أن : « هنالك فرق بين رؤية جمال الشىء وبين رؤية صفاته الجميلة · فالأولى تعنى حصول عاطفة نحو الشىء ، والثانية لا تعنى ذلك ، والأولى سابقة للثانية» كما يقول الدكتور عز الدين اسماعيل بعبارة صريحة(٦) · وأصرح من ذلك قول أستاذنا حامد عبد القادر : « الجمال يدرك ابتداء ولكن تعليله يأتى بعد تفكير »(٧) ·

والســـبب فى ذلك أن الجمال تمازج وتمايز بين عدة وحدات وبمجرد أن تدخل الوحدة فى شكل جمالى ، معنويا كان أم ماديا تفقد وجودها الذاتى ، وتصبح مجرد جزء فى الشكل الجمالى العام · والانسان عندما يشاهد الجمال لا يشاهد الوحدات ، ولكن يشاهد الصيغة النهائية لعلاقات الوحدات بعضها ببعض ، ثم يأتى ادراك الوحدات ودور كل وحدة فى الشكل العام ·

---

(٤) علم الجمال والنقد الحديث : ٣ ·
(٥) آراء وخواطر : ٨٥ ·
(٦) الأسس الجمالية فى النقد العربى ٦٧ ·
(٧) دراسات فى علم النفس الأدبى : ٩٨ ·

وهذا يتفق ونظرية الجشــتالت التى قررت بالتجارب العلمية فى ميدان علم النفس ، أن الانسان لا يدرك الأجزاء أولا ، ولكن يدرك الكل ثم يأتى ادراك الأجزاء ٠

وقد يدرك الجمال ولا يعلل ، أو قد يعلل بقدر محدود ٠ قال ابن سلام الجمحى فى هذا المعنى : « وللشعر صناعة وثقافة ٠٠ كذلك بصر الرقيق ، فتوصف الجارية فيقال : ناصعة اللون ، جيدة الشطب ، نقية الثغر ، حسنة العين والأنف ، جيدة النهود ، ظريفة اللسان ، واردة الشعر . فتكون فى هذه الصفة بمائة دينار ، وتكون أخرى بألف وأكثر ٠٠ لا يجد واصفها مزيدا على هذه الصفة »(٨) ٠

وبالمثل قال الآمدى وضرب مثلا بالجارية وزاد الفرس مثلا آخر ٠ وعبارته : « ألا ترى أنه قد يكون فرسان ٠٠ فيهما ســائر علامات العتق والجودة والنجابة ، ويكون أحدهما أفضــل من الآخر بفرق لا يعلمه الا أهل الخبرة والدربة الطويلة ٠ وكذلك الجاريتان البارعتان فى الجمال المتقاربتان فى الوصف ، قد يفرق بينهما العالم بأمر الرقيق حتى يجعل بينهما فى الثمن فضلا كبيرا ٠ فاذا قيل للنخاس من أين فضلت أنت هذه الجارية على أختها ؟ ومن أين فضلت أنت هذا الفرس على صاحبه ؟ لم يقدر على عبارة توضح الفرق بينهما »(٩) ٠

---

(٨) طبقات الشعراء : ٦ ، ٧ ، ٨ . الشطب : القامة والفرع .

(٩) الموازنة ١ : ٣٩١ ٠

وقال القاضى على بن عبد العزيز الجرجانى فى هذا المعنى بعد أن ضرب مثلا بالصورة « يحاجك بظاهر تحسه النواظر ، وأنت تحيله على باطن تحصله الضمائر »(١٠) ٠

وأوضـــح من كل هذا قد بهر القرآن الكريم العرب بجماله ، وهم لا يدركون علة لذلك ، ولو أدركوا لأتوا بمثله ٠٠ وفيما بعد حـــاول المتأخـرون تلمس جماله ، فكان « اعجاز القرآن » ونحوه الا أنها كانت مجرد محاولات ٠ وما كان فى الامكان تعليل جمال القرآن بأكثر مما فعلوا ، وحتى اليوم تتكشف وحدات جمالية فيه كلما تقدمت المعارف الانسانية ٠ مثلا قوله تعالى : « بلى قادرين على أن نسوى بنانه »(١١) ٠ لقد أثبت العلم الحديث أن لكل شخص بصمة لا تتكرر أبدا على اتساع الخلق ، وضيق مساحة البصمة ٠٠ وقوله تعالى : « رب المشرقين ورب المغربين »(١٢) ٠ كانت هنالك عدة تخريجات لهذه التثنية ٠ والمشرق والمغرب بالمشاهدة واحد ٠ لكن بعد اكتشاف الدنيا الجديدة أعنى أمريكا ، فالأمر واضح ٠ للدنيا العريقة مشرق ولأمريكا مشـــرق ، لتعاقب الليل والنهار عليهما ٠ وفى دراســـة بالاحصاء بلغت أرقامها :

---

(١٠) الوساطة : ٤١٢ ٠

(١١) الآية ٤ من سورة القيامة ٠

(١٢) الآية ١٧ : من سورة الرحمن ٠

۰۰۰ر۰۰۰ر۰۰۰ر۰۰۰ر۰۰۰ر۰۰۰ر۰۰۰ر۰۰۰ر۰۰۰ر٦٣
قام بها الدكتور رشاد خليفة بواسطة العقول الراملة(١٣)
على سورة الشعراء والقصص اللتين يبدآن بأحرف «طسم»
اتضح أن نسبة وجود هذه الأحرف بسورة الشعراء
والقصص أكثر من بقية سور القرآن الكريم التى تقاربهما
فى الحجم(١٤) ٠

وفى مجال الشعر جعل ابن قتيبة أبيات :

ولما قضينا من منى كل حاجة
ومسح بالأركان من هو ماسح

وشدت على دهم المهارى رحالنا
ولم ينظر الغادى الذى هو رائح

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا
وسالت بأعناق المطى الأباطح

مثالا لما حسن لفظه ، وهزل معناه ، لما عجز عن فهم
العلاقات بين وحدات جمالها ٠ حتى أتى عبد القاهر

---

(١٣) كلمة الراملة محاولة من جانبى لترجمة العقول الآلية . ترجمة غير حرفية . مأخوذة من خط الرمل على التراب ، لما بينهما من شبه فى المعنى والشكل معا .

(١٤) مجلة آخر ساعة القاهرية : بتاريخ ١٩٧٣/١١/٢٨ : ١١ وما بعدها . وفى كتاب « الأعجاز العددى للقرآن الكريم » لعبد الرازق نوفل أمثلة أخرى .

الجرجانى ، وتلمس ما فيها من أسباب جمال علته المعنى لا اللفظ ، تأكيدا لفكرة المعنى عنده[15] • وقد وفق الى حد كبير ، ولاتزال غنية ، الا أنه انتصر للمعنى بها وترك الحديث عن وحدة اللفظ ، والموسيقى ، والقافية ، وغيرها من الأحرف خلال الأبيات •

والأمثلة لهذا النوع من الجمال القريب البعيد كثيرة • وعلة التناقض فى القريب البعيد ، كثرة الوحدات الجمالية. وتداخلها ، ولطفها وهو بهذا الوضع نوع من الجمال عزيز • يقنع منه السامع والرائى بالتمتع • الا أن يكون السامع ناقدا ، فيحاول التعليل ، فان عز • قال : جمال أجوف كما فعل ابن قتيبة آنفا •

وثمة احتمال آخر ، قد يكون الشىء جميلا من الناحية الموضوعية ، ومع ذلك جماله لا يدرك ، أو يدرك بدرجة أقل مما هو عليه ، لعلة ما • وأكثر ما يكون ذلك عندما يقوم جمال الشىء على تمازج وتمايز وحدات ثلاث فأقل ، ثم يجهل القارىء له بأى حاسة من الحواس احدى هذه الوحدات ، أو وحدتين منها • مثلا قال أمرؤ القيس :

وهر تصـــيد قـلوب الرجـــال
وأفلت منهـــا أبو عمـرو حجـــر

---

(١٥) أسرار البلاغة : ١٥ .

قال ابن رشيق فى فهمه وشرحه له : « فكان لفظ هر واستعارة الصيد معها مضحكة ، ولو أن أبا حجر من فارات بيته ، ما اسف على افلاته منها هذا الأسف »(١٦) · فجعل من كلمة « هر » الواردة فى البيت بهذا الفهم حيوانا حقيرا ، والأمر على غير ما فهم ، فقد كانت كلمة « هر » فى العصر الجاهلى البعيد ، و «هريرة» فى العصر الجاهلى القريب . تعنى التكنية عن المرأة · ولعل وجه الشبه بين المرأة والهرة ، أن الهرة والهريرة عند التعظيم أو عند الاستملاح أو أيا كان الدافع النفسى للتصغير ـ تستدفىء ليلا بأجسام أهلها خاصة فى الشتاء ·

والمعنى بعد ادراكنا لهذه الوحـــدات بالبيت : حيرة امرىء القيس ، كيف يفلت قلب أبيه من النساء ؟ وكيف يلومه على تعلقه هو بهن الى حد الطرد ؟! ·· وهو محق فى هذا التعجب ، وله من الشباب ، والفراغ ، والجدة ، عذر واضح · وأبوه محق أيضا فى غضبه عليه ، فقد كان كهلا أو شيخا يبغى الحلم ، والملك لولده ، خشية ما آل اليه وابنه من مصير ، الا أن ابن رشيق ذهب بجمـــال البيت جملة ·

والبعض يقول بالقصص : ان هر كانت زوجة أبيه هم بها وهمت به ، فطرده أبوه لذلك · وهذا قول به السخف

---

(١٦) العمدة ١ : ١٨٢ ·

واضح ، يسىء الى الخلق قبل الفن ، والى المعنى قبل اللفظ ، ويشوه الجمال بعاهة مستديمة ٠

مثال آخر : بمعلقة لبيد حمار وحشى يسابق الغبار ٠ قالوا عنه : هو غبار رجليه ، ولو صح ما قالوا لكان على الغبار أن يلاحق الحمار ويسابقه لا العكس ، لأن الحمار فى هذه الحالة ، هو الذى يثير الغبار فينبغى أن يكون خلفه ، كما هى الحال بالعربات والغبار الذى تثيره فى أوجه الراجلين بالمدينة ٠

المقصود ليس ما قالوا ، ولكن مقصود لبيد غبار الاعصار الذى يرتفع الى عنان السماء فى غايظ الصيف نتيجة لتدافع الهواء من كل ناحية نحو نقطة بالصحراء أذابت الحرارة هواءها ، وفرغت ما فيها من برودة بتيار الحمل ، فخف ضغطها الى ما يقرب من درجة الفراغ التام ، أو المطلق ٠ وهو من السرعة بمكان لا يبارى ٠ ومع ذلك فقد جعل لبيد الحمار الوحشى يسابق الاعصار ، أثناء طرده لأتانه ليوردها ويرد معها الماء ، ليأخذ منه خامة شعرية يصف بها سرعة ناقته(١٧) ٠ هذا ماعناه لبيد ليس غير ٠

مثال ثالث : برسالة القضاء لسيدنا عمر الى أبى موسى الأشعرى عبارة « أو ظنين فى ولاء أو نسب » قالوا فى شرحها : لا تقبل شهادة متهم فى صحة نسبه أو صحة

---

(١٧) الملقات السبع : البيت ٣١ من معلقة لبيد .

ولائه[١٨] . والفاروق يعنى مبدأ الطعن فى الشهادة جملة لقرابة أبوة أو بنوة ، أو ولاء أو نحو ذلك ، لذلك قـــدم الولاء ، لأنه أكبر ظنة ، لا التحقيق فى صحة الأنساب .

مثال أخير من العصـــر الحديث . قال عبد الوهاب البياتى : « أخطأ بعض النقاد الذين ألحقوا هذه القصيدة (موت المتنبى) بقصائدى الأخرى التى أتحدث فيها من خلال قناع »[١٩] . وهذا مثال عندى أغرب وأقرب . أقرب لأن صاحبه يعيش معنا حتى اليوم ، وأغرب لأنه ما كان ينبغى أن يســـاء فهمه ونحن نعيش معه الظرف اللغوى لقصيدته . فكيف به اذا بعد به الزمن ألف عام كعنترة . والأعشى . بل كيف بمن هو أقل وضوحا منه من شعراء العصر الحديث ؟! .

احتمال أخير : قد يكون الشىء جميلا فى الواقعويستقبح رغم جماله ، لخبرة سابقة أليمة ، أو تربية أسبق فى بيت أو أقليم أو أمة . وهذا ما يعرف بكلمة « الذوق » عندما تكون التربية عامة بالاقليم والأمة لا خاصة بالبيت . من أمثلة

---

(١٨) المنتخب من أدب العرب ٢ : ١٥٧ هامش ط ١٩٣٧ . رواية البيان والتبيين ٢ : ٣٧ شرح السندوبى أو « قرابة » مكان « نسب » الا انه لم يشرح . كذلك الحال بتحقيق عبد السلام هارون للبيان والتبنيين .

(١٩) تجربتى الشعرية : ٣٧ .

ذلك‌الناس بأوربا يألفون الكلاب الى حد المداعبة ، والتقبيل قصدا ، ويمسحون لعابها بأيديهم مسحهم لماء المزن · ونحن بالشرق نستقذرها ونسيء بها عند الغضب ، وان ولغت باناء غسلناه سبعا احداهن بالتراب · ولست أدرى هل هنالك شيء عندنا بالشرق تستقذره أوربا كما نستقذر ؟!

ولا تعنى هذه المعـالجة لهذا الاحتمـال الأخير ، أن الاختلاف كبير بين الأمم فى فهم الجمال · كما يفعل البعض عندما يقول بفكرة جديدة أو يأتى برأى جديد · يتسـقط الهنات ويضـخم نقاط الخـلاف ليؤيد بها رأيه أو فكرته الجديدة · وقد لاحظ هذا رتشاردز فقال : « والرأى الجديد عادة يبالغ حتى يثبت وجوده » · لا تعنى ولكن تعنى وضع هذا الاحتمال فى الاعتبار أعنى فى الحسبان ،ونحن نقرأ الجمال ، ونتذوقه فى بعض المواقف · وتعنى أن الذوق ما ينبغى أن يكون حكما وحكومة فى الجمال ، مادام فى الامكان ترسيبه ، وجرفه ، وتعديله ، بالتربية ، أو بالمعايشة ، وتعنى استقصاء حالات الجمال ان حدث قصور فى فهمه لتربية أو خبرة سابقة ·

١

لا موضوعية فى الجمال ولا ذاتية

افترق المفكرون فى الجمـــال فريقـــين : فريق يقول بموضوعية الجمال ، منهم أفلاطون (٤٢٧ ـ ٣٤٧ قم) وفيليب ليون ، وجورج أدوارد مور ، وجرين[١] وماكس دسوار ، وأوتيتس ، وباليير (١٨٩٨ ـ ١٩٥٩) والدكتور زكى نجيب محمود ، وغيرهم كثر[٢] .

وفريق يقول بذاتية الجمال ، منهم كانط (١٧٢٤ ـ ١٨٠٤) ورتشاردز ، ورين جورج[٣] . وكروتشيه (١٨٦٦

---

(١) الأسس الجمالية فى النقد العربى : ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ على التوالى .

(٢) فلسفة الفن : ٣٥٤ .

(٣) الأسس الجمالية فى النقد العربى : ٦٩ ، ٧٠ على التوالى .

ـ ٢ : ١٩) وغيرهم كثر أيضا(٤) ٠

ورأيت البعض يضطرب فيقول مرة بهذا . وبذاك أخرى ٠٠ مثل أ ٠ ف ٠ جاريت الذى يقول بالفصل الرابع من كتيبه « فلسفة الجمال » ما يعنى موضوعية الجمال . وبه ذاته ما يعنى ذاتية الجمال(٥) ٠

هذا ما كان من قبل ٠ والآن نقول بدءا هنالك فرق بين الجمال كفكرة فى ذهن الفنان يريد ترجمتها الى واقع ملموس أو مفهوم . وبين القدرة على ترجمته ٠ وهنا يختلف فن الرقص والموسيقى والأدب عن فن الرسم والنحت والتصوير ٠٠ ولنضرب مثلا بالأدب ، لأن الأمر فيه أوضح من فن الرقص والموسيقى ٠ الأديب والشاعر قبل أن يقوم بترجمة عمله الى واقع ، يقوم بتصوره فى ذهنه بصورة ما ، وهذا يعنى أن الشاعر يقوم بخلق الجمال . ويقوم بترجمته معا . ويعنى أن المرحلتين بالأدب ، والموسيقى ، والرقص لا انفصال بينهما ، بل لا يمكن الفصل بينهما ٠ والأمر أشبه ما يكون بالسكين عند المناطقة قاطعة بالقوة قبل أن تقطع ، وقاطعه بالفعل بعد أن قطعت ٠ أما فى الرسم والنحت والتصوير ، فالأمر يختلف ٠ الرسام مثلا يرسم ما يشاهده

---

(٤) علم الجمال والنقد الحديث : ٢ وأيضا فلسفة الفن : ٣٥٤ ٠

(٥) الأسس الجمالية فى النقد العربى : ٦٨ ، ٧٨ ٠

سواء أكان جميلاً أم قبيحا · فاذا كان جميلاً كان اعجاب القارئ باللوحة من ناحية مافيها من جمال . ومن ناحية قدرة الفنان على نقل هذا الجمال · واذا كان قبيحا كان اعجاب القارئ بقدرة الفنان على نقل ما شاهد · ومعنى هذا من ناحية عملية أن الأديب عليه الخلق والترجمة . وأن الرسام عليه الترجمة فقط ·

وهذا لا يعنى تحويل الفنان الى آلة تصوير . ولكن يعنى توضيح الفرق بين طبيعة الفنين · وعلى هذا فمهمة الفنان أشق ومسئوليته أضخم ـ نقول بدءا بهذا ، كما نقول أيضا : ان هنالك فرقا بين الشيء الجميل كعمل فنى مثل ، وبين ادراك القارئ لهذا الجمال الذى مثل ·

نقول بدءا بهذا وذاك ، ليكون لنا تصور واضح لكل أبعاد الجمال ، وعلاقاته المتداخلة بين الفنون من جانب ، وبين الموضوع ، والفنان ، والقارئ من جانب آخر · لنصل الى تحديد المشكلة ، ومحاولة حلها · واذا لم يمكن الحل ، التحديد فى حد ذاته خطوة أساسية نحو التقدم نحو الحل ، خطوة ··

الجمال بصفته مجموعة وحدات أوجد الفنان بينها تمازجا وتمايزا بذهنه ، ثم قام بترجمتها إلي واقع ملموس، أو معقول ، موضوعى لا ذاتية فيه ، لأنه يعنى : هذه الوحدات ، ويعنى التمازج ، ويعنى التمايز ، ويعنى الناتج

من كل هذا · وكل هذا شيء مادى ملموس لا ذاتية فيه الا فى حدود اثبات شخصية الفنان ، وما يضيفه اليه من ذاتيته، فليس الفنان آلة تصوير يحكي الطبيعة ويحكى الحياة رجع صدى . ولو كان آلة لما كان فنانا ·

وفرق كبير بين هذه أعنى ذاتية الفنان التى تترك آثارها على العمل الفنى ، وبين ذاتية الجمال المقابلة لموضوعيته ·· هذا جانب · جانب آخر · القدرة على الترجمة مطلقا لا علاقة لها بالجمال مطلقا . وقد اوضحت ذلك من قبل · بقى لنا ادراك الجمال أو تذوقه بعبارة مجازية ، أخذتشكل الحقيقة من كثرة التداول والاستعمال · هنا عقدة العقد ، ومن أجلها كان تخير العنوان بالشكل السابق · وسأحاول حلها بأسنانى ما استطعت كما يفعل الناس عند حل عقدة الحبل المستعصية ·

لاشك أن الجمال يقوم على أسس موضوعية فى الشىء الجميل ، قوامها الوحدات الجمالية التى حدث بينها التمازج والتمايز فى الشىء الجميل · وهذا أمر قد فرغنا منه . وضربنا له الأمثلة بالمحسوس والمعقول بحديثنا عن سؤال · ما الجمال ؟ لكن الاحساس والتأثير به لا يكون بعد ادراك تلك الأسس ، وانما هو انطباع على الوجدان يحدث من غير ادراك لتلك الأسس الموضوعية ، ثم بعد الانطباع والتأثير يكون ادراك تلك الأسس وتفاصيلها ادراكا حقيقيا أو تبريريا أحيانا ، وأحيانا يحدث التأثير بالجمال ويعجز الانسان عن

التعليل ، لأن هنالك وحدات وعلاقات بين الوحدات تدق وتلطف عن الادراك العقلى ، مثال ذلك الجمال بالجارية تكون بمائة ، وبمائتين والوصف للاثنين واحد كما يقول ابن سلام والآمدى بحق ٠

هذا فى المرئيات ٠ وفى المعقولات يتأثر الانسان بالقصيدة فور سماعها ، يستوى فى ذلك سواد الناس ، والعلماء . وأهل الاختصاص ، غير أن أهل الاختصاص من النقاد وغيرهم يستطيعون التعليل أكثر وأسرع ، ولكن التأثير فور السماع عند الجميع حادث ٠ ولعل من أوضح الأمثلة لهذا الجانب فى الجمال ، الجمال فى المرأة الجميلة يدركه الناس جميعا باللمحة العابرة ٠

فهل ادراك الجمال فطرى ؟ هذا سؤال سنجيب عليه بعد قليل ٠ وعلى هذا أنه لا ذاتية فى الجمال ولا موضوعية ٠٠ ولكن شىء من هذا وذاك ، والا لكان الحكم عليه بعد الادراك ان كان موضوعيا ، كما هى الحال بالأشياء المادية ٠٠ تقوم بعد فحص ، والا لكان الاختلاف بعدد الأفراد أو بعدد الأمم والقوميات على الأقل فى الحكم على الأشياء بالجمال وعدمه ان كان ذاتيا ٠ وبعبارة أدق ان كان فرديا بدل ذاتيا ، لأن الذاتية لا تقابل الموضوعية ، ولكن تقابلها الفردية ، لأن الذاتية شىء لا مناص منه فى أى عمل ٠ ولكن الناس تعودت أن تقول الذاتية مقابل الموضوعية ٠ وهذا

ما جعلنى أوثر الشائع على الأوفق الى أن يستقر تداول الكلمة مستقبلا .

وعلى هذا فموضوعية الجمال تقف عند حد العناصر التى جعلت الشىء جميلا . وذاتيته تتخطى هذه العناصر بدءا ، ثم تعود اليها للتعليل . وهذا التراجع ، أو هذه الذبذبة بين التخطى والعودة هى التى جعلت الاختلاف بين الفلاسفة ، والمفكرين وعلماء الجمال قائما منذ عهد أفلاطون (٤٢٧ ـ ٣٤٧ ق.م) الى عهـــد كروتشـــيه (١٨٦٦ ـ ١٩٥٢) .

وكل محق فيما قال من الجانب الذى نظر اليه منه . وهذا الوضع لطبيعة الجمال هو الذى جعلنى اتخير عنوان (لا موضوعية فى الجمال ولا ذاتية) دون أن أقصد التوفيق بين الآراء ، ولكن قصد الافصاح عن ما أعنيه فعلا .

لمــاذا يؤثر الجمــال ؟

بالملاحظة والتجربة اذا شاهد الانسان فتاة جميلة ، التفت اليها ، واذا شاهد دميمة أشاح بوجهه عنها · وهذا أمر لا يشذ عنه أحد ·· فأى خصوصية فى الجمال تدعو الى ذلك ؟

قلت من قبل ان الجمال تمازج وتمايز بين عدة وحدات تعطى شكلا مبتكرا أو مألوفا · هذا الوضع متى تحقق فى نشاط بشرى ، أو جانب من جوانب الحياة ، أحدث أثرا فى النفس · سواء أكانت القراءة له بالعين أو الأذن او بأى حاسة من الحواس · وأكثر ما يكون ذلك وضــــوحا عند استخدام حاســــة النظر ، أو عند نقل المرئى عن طريق اللغة ·

ومصدر التأثير أن هذا الوضع الذى نتج عنه الجمال، فيه تحديد . والانسان بطبعه يحب التحديد ويكره عدم التحديد . قال سانتايان (١٨٦٣ ـ ١٩٥٢) : « الجمال يقتضى التحديد »(١) . وأن هذا الوضع فيه نظام . قال أرسطو : « ان الجمال يتركب من النظام فى الأشياء الكثيرة »(٢) . وقال كاسيرر : « الفن نظام »(٣) وهو يعنى بصورة غير مباشرة الجمال .

وفى هذا الوضع وضوح ، لأن النظام بطبعه يقتضى الوضوح . وأن هذا الوضع فيه كشف للعلاقات بين الأشياء دليل وحدة ومقياس تعاون .وأن هذا الوضع فيه جدة وطرافة ، وفيه بعد عن الرتابة ، لأن أى تمازج وتمايز بين أى وحدات جمالية خاصة فى الأدب ، يحدث شكلا جماليا لا يقبل التكرار . ربما يقبل الجمال بالصورة أو الرسم الاعادة عن طريق الطباعة . خاصة بعد أن تقدمت وسائل الطبع الى حد التلوين . أما الأدب فلا يمكن ذلك بأى حال من الأحوال ..

وبهذه المناسبة يتوهم البعض أن الجمال جدة ، لوضوح تأثير هذا المظهر فى الناس ، وتقبلهم له دائما . لذا نجد

---

(١) فلسفة الفن : ٨٤ .
(٢) الأسس الجمالية فى النقد العربى : ٤٤ .
(٣) فلسفة الفن : ٣٠٢ .

البعض فى الحياة العملية ينتج ملابس ولوحات ذات ألوان وأشكال شاذة ليس فيها أى مظهر من مظاهر الجمال غير الجدة ، رغم أن مظهرالجدة مظهرعرضى لا جوهرى،بمعنى أن الجدة ليســـت وحدة مادية من وحدات الجمـال التى تمازجت وتمايزت ، ولا علاقة مادية بين هذه الوحدات ، ولكن مجرد ظل يلازم الجمال بعد أن يتحقق وجوده ٠٠ فيأخذ البعض هذا المظهر العرضى ، فيطالعوننا بأشـــكال عفوية على اللوحـــات أو الملابس يتحقق فيها هذا المظهر العرضى، ولكن سرعان ما تذهب بذهاب جدتها وتستهجن لانها لا تمثل وحدة مادية من وحدات الجمال . ولا تفاعلا لهذه الوحدات ، ولكن كما قلت مجرد عرض ٠ والعرض لا يقبل الوجود الا اذا قام بغيره كما يقول المناطقة ٠ أو مجرد ظل ٠ والظل يذهب بمجرد أن يدخل الانسان الظل ٠

وفيه كذلك ايجاز ٠ وقديما قالت العرب : البـــلاغة الايجاز ٠ ولا يعنى الايجاز الاختصار المخل او التلخيص ، ولكن يعنى الأداء لذات الشىء كما هو بأقل قدر ممكن من الأسلوب٠ والايجاز يقتضى البساطة واستغلال أتفهالأشياء لاقيم الأغراض ، بعد أن يكشف الفنان بحاسته الفنية علاقة التمازج والتمايز بينها وبين أشياء أخرى ما كانت تخطر

على بال أحد والمترتب على هذا كثير : منه توفير الجهد والوقت بعامة · وفي الفنون العملية كفن البناء ، يكون توفير الخامات والمواد الأولية فائدة أخرى ·

وفي الأدب تمكن البساطة من استخدام مألوف الكلمات لأعظم الأغراض الأدبية · وهذا بدوره يذهب بالتفرقة (بين الكلمات) التي تقول : هذه كلمة شـــاعرية ، وهذه غير شاعرية ، وهذه حوشـــية ، وهذه رقيقة ، الى آخر هذه الثنائية التي يتحدث عنها كثيرا · ومن ثم يجعل كلمات اللغة كلها في متناول الأديب يستخدمها أنى شاء متى ما وجد لها موضعا ·

وفيه ايضا تنظيم لفكر القارىء وهدوء نفسه · ومن قبل قال فرويد (١٨٥٦ ــ ١٩٣٩) : « الناس يحبون في الغالب الآثار الفنية التي تعزز من احساسهم بالأمن»(٤) · وقال رتشاردز : «الفن الجيد ينظم دوافعنا النفسية تنظيما عاليا فنشعر بالارتياح والنشاط ، وهذا بدوره يؤثر في مواقف سلوكية أخرى »(٥) · تماما كما يستمد الانسان الثقة من

---

(٤) فلسفة تاريخ الفن : ٩٦ ·

(٥) طبيعة الفن ومسئولية الفنان : ٦٦ ·

شخصية أخرى يجالسها ، أو مسرحية يشاهدها . والعكس بالعكس ، بل التخريب أسهل بكثير من التعمير . وهذا تأتى الأهمية البالغة والحيوية لوسائل الاعلام ، ومعرفة العاملين بها ، واختيارهم ، وأمانتهم »(٦) .

وفيه أخيرا احترام لذاتية القارىء وانسانيته ، فلا يقال له فى الأدب الحق « أنظر » بالأمر ليفهم ، ولكن يعرض له الموقف فى الأدب المسرحى ، أو الصورة فى الشعر ، ليفهم منها كما فهم الكاتب أو الشاعر أو الراسم للوحة اذا كان الأمر بفن الرسم . بل ربما فهم القارىء أكثر مما فهم الكاتب أو الراسم ذاته ، لأن علماء النفس يقولون : الانسان

(٦) فى هذه الأيام منذ أكثر من عامين ، بدأت الاحظ أن الصحافة الملونة كالمصور وغيره أخذت تستخدم اللون الأحمر فوق اللون الأخضر والأزرق ، رغم ما بينهما من تنافر يحدث اهتزازا بالعين والنفس معا . وأسوأ من هذا تلوين الكعبة المكرمة والروضة الشريفة بهذا اللون بالمصالى . والواجب أن يكون كل ما فى هذا الجو النفسى وهذا المقام ، يدعو الى الطمأنينة ، والخشوع ، وهداة النفس . تماما كالصورة الشعرية يطالب النقاد أن تكون متآزرة مع الغرض العام وشحنة الوجد .

وبدأت الاحظ نزول كميات مهولة لصورة طفل تسيل على خده دمعتان . ولست أدرى لماذا نختار هذه الأوضاع بالصناعة والصحافة والفن ؟ ولنا من الألوان العربية المتجانسة الكثير كالأحمر بجانب الأسود والأبيض . أعوذ بالله أن نخرب بيوتنا بأيدينا أو بجهالة . أعوذ بالله .

لا يقرأ الكتاب ، ولكن يقرأ نفسه بكامل خبراتها وتجاربها . وذكائها ، فى الكتاب · وفيه تحريك لقدرة التفكير فى القارىء وتربيتها ، أعنى تربية القدرة ، فيشارك بطريقة ايجابية فى الفهم والمواقف ·

لهذا كله يؤثر الجمال · وليست المسألة مجرد سرد وتقرير ، ولكن هذه جوانب لها معناها ، وأبعادها النفسية، ونتائجها التربوية والاجتماعية والعملية · ولا يقف الأمر عند حد ما قلت ، ولكن هذا ما أمكن · ولعل غيرى يضيف جوانب أخرى ، او يكتشف الغد جوانب أخرى ، بتقدم العلوم الانسانية بشكل عام ، والنفسية بشكل خاص والتربوية بشكل أخص ·

ولماذا نتأثر بالجمال ؟

لماذا يتأثر الانسان بالجمال ؟ أو بالتمازج والتمايز بعبارة أخرى ؟

يرجع أفلاطون العلة الى روح الانسان قبل أن تحجب بالمادة · كانت الروح بعالم المثل ، وفيه كان الحق والخير والجمال المطلق · فهى لذلك تتوق اليه أبدا · وبعبارة أخرى نفسية تتوق أبدا الى هذه الخبرة السارة ·

وبالمثل يقول فان جوخ (١٨٥٣ ــ ١٨٩٠) : « ان الانسان لا يصور عالم المادة المشوه ، ولكن يسعى الى

تصوير الجمال السابق فى عالم الله »[1] . وهذه عبارة له مشهورة الا أنه لم يشر الى رأى أفلاطون . ولست أدرى لماذا ؟

وقريب من هذا قول صاحب الوساطة على بن عبدالعزيز الجرجانى وهو يتحدث عن السهل الممتنع فى شعر البحترى: « ثم انظر .. مايداخلك من الارتياح ويستخفك من الطرب اذا سمعته ، وتذكر صـــبوة ان كانت لك . تراها ممثلة بضميرك ، ومصـــورة تلقاء ناظرك »[2] . كذلك قول الأستاذ محمد خلف الله : (ان موقفنا العقلى نحو الشىء الذى نعده جميلا موقف فى نهاية التعقيد .. لكن الأكثرية تحب الشىء لأنه يذكرها بخبرات ســـابقة) ثم أورد قول كرومبى « ولاشك أن كثيرا من النجاح الذى يحرزه الفنان انما يتوقف على مهارته فى اثارة ذكريات وشئون فى عقول جمهوره .. وأوضح مايكون ذلك فى الأدب »[3] . وخلاصة رأيه أن الذكريات هى العامل الأقوى فى استجابة القارىء للجمال والأدب بأى حاسة كانت بالعين أو بالأذن .

ويرجع جوستاف يونج (١٨٧٥ ـ ١٩٦١) العلة فى

---

(١) فلسفة الفن : ٢١٢ .

(٢) الوساطة : ٢٧ .

(٣) من الوجهة النفسية فى دراسة الأدب ونقده : ٢٧ ، ٢٨ .

التأثير بالجمال الى العقل الباطن ، أو اللاشعور بعبارة مألوفة[٤] ٠

ولا فارق بين هذه التفسيرات الا من حيث البعد الزمنى ٠٠ فكلها تعنى الخبرة السابقة للانسان ، سواء كان بشعوره أو لا شعوره أو روحه قبل أن يعكرها الطين ٠ ولنجينوس (عاش بالقرن الأول الميلادى أو الثالث على تقدير آخر) يرد العلة للطبع[٥] ٠ وبالمثل يقول العقاد الا أنه بأسلوب جدلى رفع فيه صوته جدا[٦] ٠

وارجاع تأثيرنا بالجمال لعلة الطبع مقبول من حيث المبدأ ، لكن العقل لا يرضى بها ، ولا تشبع طموح تساؤلاته وتفكيره ٠ ويمكن أن تكون الاجابة الأخيرة بعد أن نستكنه العلة القريبة لتأثرنا بالجمال ٠ فان تسآل العقل بعد ذلك ، نقول هكذا خلق الله الانسان ٠

والذى يبدو لى أن نظرية الخبرة عند أفلاطون معقولة ، وهى غير متعارضة وعالم الروح ، فقد كانت عند الله ٠٠ قال تعالى: « يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى

---

(٤) د. مصطفى ناصف : الصورة الأدبية : ٣٤ .

(٥) من الوجهة النفسية فى دراسة الأدب ونقده : ٩٣ هامش .

(٦) فلسفة الفن : ٣٧٢ .

وما أوتيتم من العلم الا قليلا »(٧) ثم نفخت فى الجسم أو المادة ٠ والعالم جميعا قبل أن يخلق كان فكرة . والا لما كان حادثا ٠ والأرواح كانت فى عالم آخر متناســـق فيه التمازج والتمايز . وفيه العدل . والخير . والجمال المطلق. فلما تشتت بالخلق وتعكرت بالمادة فقدت ماضيها . فهى تتوق وتحن أبدا الى الماضى . لذلك اذا رأى الانسان شيئا جميلا انجذب اليه بلا ارادة . وان شاهد قبيحا نأى عنه ولعل ماجاء فى الحديث : الأرواح جنود مجندة ما تقارب منها ائتلف وما تنافر منها اختلف ٠ يؤكد هذا بوضوح ٠

ولعـــل هذا هو الذى أوجد فكرة وحدة الوجود عند الصوفية . وحب الجمال . ثم الوجد . ثم العشق . بهذا الترتيب ٠ وجعل منها وسيلة للعبادة والتقوى والترقى عن حب لمحبوبة جميلة واحدة . الى حب لكل الجميلات . الى حب الجمال كفكرة. الى حب القيم والمثل ككل . بعد أن كان الحب يتعلق بالمحسوسات . الى حب الجمال المحض ٠ وهو الله ـ قبل أن يفسدها البعض عند التطبيق . أو يستغلها بسوء نية ٠

وفى الأدب يوجد ما يماثل ماعند الصوفية . كما هى الحال عند شعراء الرومانتيكية ٠ وبعبارة أشمل عند أى شاعر يشعر بالغربة والضياع . نتيجة لفقده تعاطف المجتمع

---

(٧) الآية ٨٥ : من سورة الاسراء ٠

وعطفه عليه · فى هذه الحالة يخلع الأديب على الطبيعة الحياة ، أو يخلع على نفسه صفات الطبيعة · من مثل عبارة (ضحك الربيع وأورق بخير) ضحك مثال لخلع الحياة على الطبيعة ، وأورق مثال لخلع صفات الطبيعة على الانسان ·

« وهذان المظهران مما تعرفه الآداب كلها ، ومما تسجله البحوث اللغوية · وفى هذه البحوث قد يعبر عن تشخيص الطبيعة بأن الانسان مركز الانتشار ، وعن المظهر المقابل له بأن الانسان مركز الجاذبية »(٨) · والعلة لهذه الظاهرة العامة فى الآداب كلها ، هى أن الوجد متى ما تحرك وجاش أحدث هذا تلقائيا رغم اختلاف الدافع والغاية عند الشاعر وعند العابد ·

---

(٨) دور الكلمة فى اللغة : س· أولمان : ترجمة كامل محمد بشير : ١٦٩ ·

وما أثر الجمال على الشيء الجميل ذاته

الجمال تمازج وتمايز · وهذا يعنى ألا يكون هنالك بغى من وحدة على أخرى تحجب وجودها، أو تعوق تحركها بمرونة · وهذا ما يجعل الفرس تام الخلق حرا ، وغيره يصيبه الاعياء سريعا ، ويجعل بعض المجتمعات تخب نحو الأفضل ، والأخرى تنقل الخطى · ويجعل بعض الأشعار سهلة الحفظ من أول قراءة أو سماع لها · ويجعل بعضها يأبى الكرة بعد الأخرى ·

وحتى الآلة تكون أكثر مرونة ، وأطول عمرا ، اذا كان بين أجزائها تمازج وتمايز بقدر كبير ، لا لأن فى هذا جمالا، ولكن فيها هذا الجانب الهندســـى من مظاهر الجمال · والغرض الايضاح من ضرب هذا المثل · فالله قد ضرب الأقل لنوره ·

هنا يكون لقول الأستاذ العقاد : « ان درجة حيوية الشيء تتوقف على حظه من الجمال »(١) • معنى • وبالمثل قول الأستاذ الزيات : « الجمال قوة ووفرة وذكاء »(٢) • ومن هنا كان تعلق العرب وغيرهم من الأمم بكلمة «حر» فى الرجل ، والفرس ، والسيف ، والعقد •• لأنها كانت تعنى الجمال والطاقة ، ولاتزال • ونفورهم من كلمة «عبد» لأنها كانت تعنى القبح والاعياء ، سواء أكان معنويا أو حسيا •

العـلاقة بين الجمال والخير والحق

الحديث عن علاقة الخير بالجمال ، ليس بجديد أو حديث • وكذلك علاقة الحق بالجمال ، لأن الخير يعنى حصول الشيء على كمالاته ، والحق يعنى التوسط • وهذا المعنى للخير والحق لا يخرج عن معنى التمازج والتمايز ومايترتب عليهما • فالتوســـط يعنى ألا تطغى وحدة من وحدات الجمال على أخرى • وفى هذا خير للجميع ـ ليس بجديد ، فقبل الميلاد قال أفلاطون وتلميذه أرسطو : « الجمال هو الخير»(٣) • وبعدهما قال أفلوطين بما قال به أفلاطون وأرسطو ، الا أنه جعل كل خير جميلا لا العكس(٤) •

---

(١) فلسفة الفن : ٣٧٢ .

(٢) فلسفة الفن ٣٩٣ .

(٣) الأسس الجمالية فى النقد العربى : ٤٤ .

(٤) الأسس الجمالية فى النقد العربى : ٣٩ .

وقال ليو الأسـبانى : كل جميـل خير[٥] · كما قال أفلاطون وأرسطو ، لا العكس كما قال أفلوطين· فكأنما الأمر مغالطة · وقال ألان (١٨٠٩ـ ١٨٤٩) : « الخير صورة من صور الجمال »[٦] ـ ليس بجديد ولايزال قائما حتى اليوم ـ وما قضية « الفن للفن أو الفن للحياة » الا صورة لعلاقة الخير بالجمال بصورة أخرى ·

ورأيى الذى أتمثله : أن الجمال يختلف من موقف لآخر نوعا ودرجة ، تبعا لاختلاف الوحدات المتكون منها ، ونوعية الرابط بينهما · وأن الخير هو المظهر العملى للجمال فى موقف ما ·

وعلى هذا يمكن أن يقال كل خير جمال كما قال أفلوطين، ولا كل جمال خير · الا اذا نظرنا اليه بالنسـبة للشىء الجميل ذاته وأثر الجمال عليه ، ففى هذه الحالة فكل جمال خير · ويمكن أن يقال كل جمال حق ، ولا يمكن أن يقال كل حق جمال ، لأن الحق قد يكون فاصلا بين شيئين فقط ، دون أن يكون هنالك تمازج وتمايز بينهما ، فنجد الحق ونفقد الجمال · هذا الاحتمال الأخير · أعنى حضور الحق مع غياب الجمال ـ مع امكان قيامه لم أجد قائلا به ·

---

(٥) الأسس الجمالية فى النقد العربى : ٣٩ ·

(٦) فلسفة الفن : ١٤٣ ·

ولعل الخلط بين الحق والحقيقة ، وما جره من تضارب حال دون فهم هذه الصلة بين الجمال والحق ، حتى بعد أن تقدم الزمن ، واتسعت المعرفة وتنوعت ٠ مثلا الأديب الانجليزى ، ملصكى » له عبارة مشهورة تقول : « ان الفن ليس هو الحقيقة ، وليس هو الواقع ، بل هو شىء آخر ، انه الحقيقة مقطرة ومصفاة كيمائيا »(٦) ٠ وهذا القول مع تقديرى لقائله ، ينقصه التوفيق ، لأن كلمة « الحقيقة » خطأ واضح يضر بالنتائج ، ويبدد الجهود ، ويخرجنا من مجال : الجمال ، والفن ، والأدب ، الى مجال العلم والمعامل ٠٠ ولو قال الحقائق بينها الحق قائما لكان ذلك مفهوما ٠ وقد أوضحت من قبل الفرق بين الحق والحقيقة ٠ الحق عنصر أساسى فى الجمال بغيره لا يكون جمال البتة ٠ أما الحقيقة فعلاقتها غير مباشـــرة ، كعلاقة اللغة وكلماتها بالأدب ٠ أو كعلاقة الوضوء بالنسبة للصلاة شرط صحة ، ولكن ليس الوضوء هو الصلاة بالرغم من أنه لا صلاة بلا وضوء ٠ أما الى أى حد يكون الوقوف بجانب الحقيقة والحقائق ، فهذا أمر آخر يبحث عند الحديث عن « الصدق الفنى » ، وعلاقة الصدق الفنى بموهبة الأديب ، وأمانته ٠ وبعبارة أشمل بشخصية الأديب وفلسفته فى الحياة ٠ مثلا : هل هو من الذين يعدون خيانة التراث والقيم ذكاء ، أم من الذين يعدون الذكاء خيانة اذا بعثر التراث وخرب القيم ؟

(٦) فلسفة الفن : ٣٨٩ ٠

الجمـــال والنفـــع

من المجدى أن نسأل هنا : النفع لمن ؟ أللشىء الجميل ذاته ، أم للمنتج للجمال ؟ أم للقارىء للجمال ؟• وأى نفع نعنى ؟ هل النفع الذى يغذى الجسم ؟ أم الذى يغذى العقل ويبلور الشعور ؟ أم الذى يغذى الوجدان ويشكل العواطف ؟ أم الذى يغذى كل هذا قصد الوصول الى ترسيب سلوك جيد وارادة قوية • بعد تغذية الجسم والعقل والوجدان ؛ أم النفع الذى يؤدى الى صياغة جديدة للمجتمع بفلسفة جديدة ؟ أعنى الى تغيير المجتمع •

وعلى من تقع مسئولية التقصير فى حالة عدم حدوث هذا النفع ؟ هل على الجمال ؟ أم على الفنان ؟ بعد أن حددنا هذه الأسئلة نقول :

الجمال هو النفع قطعا لذات الشىء الجميل • أيا كانت نوعية الجمال ، ففيه له : القوة ، والثراء ، والوضوح ، والجاذبية • وهو النفع أيضا للمنتج ، اذا لاحظنا أن الجمال رغبة أمكن تحقيقها بأسلوب مشروع ، لو كبتت أحدثت توترا بصورة أو أخرى ، كغيرها من الرغبات الأخرى التى تكبت •

وفى القارىء للجمال والمتلقى له ، يأتى الخلاف بل الجدل والمغالطة أحيانا • فأى أنواع النفع نريد ؟ اذا كان

المقصود النفع المادى فما كل جمال فيه نفع مادى ٠ وقد قلنا من قبل كل خير جمال لا العكس ٠ وان أردنا أنواع النفع الأخرى ، فالنفع حاصل بصورة أو أخرى ٠

ومرجع التنوع فى نفع الجمال يرجع الى نوع الوحدات التى يتكون منها الجمال، ويكون منها الجمال شكلا معينا، فقد تشمل وحدة النفع ، أو من الممكن أن تشمل وحدة النفع ٠٠ ففى هذه الحالة يلتقى الخير والجمال ويبلغ الذروة تبعا للقاعدة العامة التى قلنا عنها من قبـــل ، كلما زاد عدد الوحدات كان الجمال أبلغ ٠ وفى معناها قال الجاحظ بالبيان والتبيين : «فاذا كان المعنى شريفا واللفظ بليغا وكان صحيح الطبع بعيدا عن الاستكراه ومنزها عن الاختلال مصونا عن التكلف صنع فى القلب صنع الغيث فى التربة الكريمة »(١) ٠ نعم الكريمة ٠ وقال أوستن وارين فى كتابه « نظرية الأدب » : « حين يؤدى العمل الأدبى وظيفته تأدية ناجحة فان نغمة الفائدةونغمة المتعة لا يجوز أن تتعايشا فقط بل يجب أن تندمجا»(٢) ٠ وقال تعالى وهو أصدق القائلين : « والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ٠ ولكم فيها جمال حين تريحونو حين تسرحون ٠ وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الأنفس ان ربكم لرؤوف رحيم والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون»(٣) ٠

---

(١) البيان والتبيين ١ : ٨٣ ٠

(٢) نظرة الادب : ٣٣ ٠

(٣) الآيات : ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ من سور النحل ٠

فكلمة « زينة » ترى مدى العلاقة الوثيقة بين وحدة النفع والجمال ، أيا كانت درجة الجمال ، أو درجة النفع فى الشىء وقبل كلمة « زينة » كانت كلمة جمال بصريح لفظها فى آية مستقلة (ولكم فيها جمال) ، وكان تقديم الخيل على البغال والبغال على الحمير تأكيدا لما نقول وتمهيدا لما فهمنا ·· وفى بعض الحديث « اطلبوا الحوائج عند حسان الوجوه »(٤) ·

وعلى هذا اذا أمكن للفنان أن يضيف وحدة النفع ولم يفعل فقد قصر أو قعد · هنا تأتى قضية « الفن للفن » والحكم والحكومة فيها · وقبل الحكم نسأل : من المسئول عن القعود ؟ الفنان أم الجمال ؟

الجمال قاعدة عامة تم شرحها من قبل · تقبل التطبيق على الوحدة والوحدتين والسبعة ·· فلا لوم عليه · وعلى الخائضين فيها أعنى فى هذه القضية والحكومة فيها ، أن يوجهوا الحديث الى المنتج رأسا ، أعنى الفنان ، سواء أكان أديبا ، أو شاعرا ، أو رساما ، أو مصورا ·· لا الى الجمال ·

لعل مجتمع الصناعة ، وما جر اليه من أخلاقيات ، وتحفظ نحو الآخرين ، هو الذى جعل النقاد وأهل الفكر

---

(٤) العقد الفريد ١ : ٢٤٤ ·

يوجهون الحديث الى غير وجهته ، ولكن هذه الأخلاقيات الجديدة على البشرية كلفتنا الكثير وجرتنا الى ما يشبه المغالطة واللجاجة (الفن للفن ، لا الفن للحياة) وجرتنا الى قضية يتهرب المتهم فيها بحجة الفن ليرتفع عن الناس ، أو يعتذر بالحياة ليقول ما يشاء ،وكيف يشاء ·

وليس من المستبعد أن يكون بعض المفكرين من ذرى الصفوة ، أو بقمم الفلسفات الاجتماعية · كانوا يريدون بالناس هذا عن قصد وسوء نية ، قصد امتصاص الطاقة ، وتبديد الجهود ــ ليس من المستبعد · وانساقت البقية بحسن نية أو غفلة الى ما أريد بها ·

أرجو أن يسأل الفنان بعد هذا لا الجمال ، ولا الفن ، ليحدد موقفه وفهمه من مشاكل عصره ، ليقاسم مجتمعه العبء بقدر ما وهب من طاقة ، وفنه من طبيعة ، ولنا من تجربة الصين بقيادة « ماو » فى هذا المجال عبرة وخبرة · فقد عقدوا مؤتمرا لتحديد دور الفن والأدب فى الثورة ، أو موقف الفنانين من الثورة · قبل أن تكون هنالك ثورة بأمد بعيد ، فحدد واختصروا الطريق ، فكانت الصين الجديدة العريقة خلال ربع قرن · بقطع النظر عن السياسة فنحن عنها بمنأى ·

وقد يتعارض الجمال والنفع لأى خطأ غير مقصود ، أو عارض من الشخص الخالق للجمال ، لأن الجمال لا

يتعارض والنفع الا القصور من مهندس الجمال ، أو لخطئي مفاجيء عند التطبيق ٠ في هذه الحالة يغادر الانســـان الجمال من أجل النفع، وفي النفس امتعاض، أو حزازة تبقى أبد الدهر لمن يشاهده أو يســـمعه أو يقرأه ، كالوشــب بالعين ، فيقول الانسان : لو كان كذا لكان أجمل ٠

والعكس قد يحدث ٠ بمعنى من الممكن أن يكون الشيء نافعا بغير جمال كما هي الحال في المباني ، لأن وحدة النفع هي مركز الثقل فيها ٠ ومع ذلك يحلي الانسان المباني بالزخارف رغبة في الجمال ٠ أو لذات الجمال ، لأنه يمثل الرغبة الكامنة في الوجدان لحب الجمال ، أو لما تتوق اليه النفس أبدا كما يقول أفلاطون ٠ مثلا نجد بعض المباني بها بعض الأعمدة في بعض التصميمات المعمارية كالمقلوبة ، وما هي كذلك ، لكن لكي تتمازج أو تتفق والشكل العام يفعل بها ذلك ، وكان العكس ينبغي أن يكون طبقا لقانون الجاذبية ٠ فعل الفراعنة بالهرم ، لكن هندسة التسليح اليوم جعلت الارتكاز بالقاعدة الرفيعة ممكنا ، وما زاد عنها أعني عن القاعدة الرفيعة جمال قصد به التمازج والتمايز ، ليأخذ شكلا معينا أو ليعطي وهلة معينة ، لكن دون شك ستفعل الجاذبية فعلها على المدى الطويل ٠

وفي المباني ، فان معظم الزخارف والتحليات الجميلة هي من هذا القبيل ٠ وهذا ما جعل سلامة موسى يقول : (الجمال غاية لأن الوسائل تتحول الى غايات كالأواني

وزخرفتها)(٥) · على ما فى فهمه من علات ككل ، وهذه الزخارف وان لم تخدم جانبا عمليا فى الشىء المزين الا أنها تشبع الحاجة الوجدانية · وفى هذا قيمة نفسية عظيمة · بل أعظم من الحاجة العملية وقضائها · أعظم على المدى الطويل(٦) ·

وقد يجعل الانسان بالحس الجمالى شبه المفطور عليه، قيمة عظيمة لبعض الأشياء النادرة ، والقطع الأثرية ، والموروثة ، وهى عديمة النفع عاطلة من الجمال ، لا لشىء الا لأنها تحاكى الجمال فى تفرده بندرتها ، أو بطول الزمن ، لأن الجمال لا يقبل التكرار اطلاقا على كثرة تعدده ، وهذه بالمثل ، كالعاديات ، ومايتوارثه الأبناء عن الآباء والأجداد من سيوف وغيرها ·

---

(٥) فلسفة الفن : ٣٧٨ .

(٦) أنظر « الصورة الشعرية عند المعرى » : ١٠ ففيها بسط لما أجملت هنا .

القبح والظلم والشر

اذا لم يكن هنالك تمازج بين الوحدات فلا جمال ولا قبح ، وان تمازجت جدا الى حد الخلط فلا جمال ولا قبح ، وان تمازجت وتمايزت وطغى بعضها على بعض · هنا يظهر القبح والظلم والشر · مثلا :

الوجه الذى تغلظ شفتاه ، أو أنفه ، أو أسنانه ، أو تضيق عيناه ، أو تتسع أذناه ، أو فمه ، قبيح · والجسم الذى يكبر رأسه أو يصغر · أو تغلظ قدماه ، أو ترق ساقه ، أو نحو ذلك · كذلك الحال بالمجتمع وبقية مظاهر الحياة تقبح لهذه العلة · والقبح أوضح فى الادراك من الجمال ، لوضوح العلة والخلل وأثرها على الشىء · وشكله ·

والشر أصله فى اللغة : ذهاب الماء · وحتى اليوم يقال : شر الثوب يعنى عرضه للشمس ليجف ماؤه ـ والماء كما هو معلوم يعنى الحياة فى الصحراء وفى سمومها اللافح

·· لذا قالت العرب لكل مضر أو مؤذ ، أو مذهب للحياة شرا ، قياسا على ذلك ·

وبالاستعمال والتدرج وطول العهد احتوى المعنى المجازى للشر على مفهوم الشر الحقيقى · أو تغلب المعنى الجديد على القديم · ولم يعد لأصلها وهو ذهاب الماء ، وتعريض الثوب للشمس ليجف ماؤه وجودا الا بالمعاجم · وهنا يمكن أن نقبل معنى الشعور واللاشعور الجمعى المرتبط بالماء وأهمية الماء بالصحراء ، وانعكاسه على القصيدة ، وألفاظ القصيدة بالأدب العربى[1] · بلا استكراه للفهم أو عنت أو تعنت ، لأن الماء يعنى الحياة بالصحراء ، والشر يعنى القضاء عليها ·

والظلم تجاوز الحد ، كذلك البغى فى مقابل الحق والوسط والتوسط بين الأشياء ، فلا جمال مع الظلم البتة · والشر هو المظهر العملى للقبح ، كما كان الخير هو المظهر العملى للجمال · وقد أوضحت ذلك من قبل ·

والعلاقة بين الظلم والقبح والشر واضحة ، فكل قبح ظلم ، وكل ظلم شر ، وبالتالى كل قبح شر : تماما كما نقول : (أ = ب · ب = جـ · اذن أ = جـ) · والأمر فى هذا الجانب لا يحتاج الى أكثر من هذا · بعد أن عولج ما يقابلها من قبل : الجمال ، الخير ، الحق ، وبضدها تتميز الأشياء قاعدة مشهورة ·

---

(1) انظر « فن الشعر » للدكتور احسان عباس : ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٩ ففيه بسط لما أشرنا اليه هنا .



الفـــن

ما الفــن ؟

قبل أن نجيب على هذا السؤال نســـتعرض الجهود السابقة فى هذا المجال · تقول الموسوعة الميسرة وأنا هنا سأنقل كل ما قالته بالحرف لنقف على كل ما جاء فيها تحت هذا العنوان :

« لا نحفل هنا بالمعنى المتعلق بكلمة « فن » أو مايعادلها فى اللغات الاغريقية أو اللاتينية أو الألمانية ، ذلك المعنىالذى علق بها فى الماضى ، والذى كان من الغموض بحيث أدى بمعظم المحاولات التى بذلت فى تعريفه الى نتائج حافلة بالتنــاقض والتعارض ، حتى كان التفســير الجمــالى « الاستاطيقى » الأكثر تحديدا وخلوصا ، وهو التفسير الذى وضعه المفكرون المحدثون ·

أما عن المضمون القديم بمعناه الواســـع فى اللغات الاغريقية واللاتينية والألمانية ، والذى يتضمن معنى المهارة والمقدرة ، فقد استمد من الأناة والصبر فى التمرس والمزاولة واتجه نحو غاية بعينها كائنة ما كانت هذه الغاية ٠٠ جمالية أو نفعية ، وتبعا لما يقصدون اليه من أغراض كانت تنقسم الى : فنون جميلة ، فنون السلوك ، فنون عالية ، وكانت الفنــون الجميلة تختص بادراك الجميـــل ، وتختص فنون السلوك بادراك الخير ٠ أما الفنون العالية فتختص بادراك النافع ٠

أما عن المصطلح بمعناه الحديث ، وهو المعنى الأكثر تحديداً ، فينطبق فقط على تلك المناشط الانسانية التى تميل الى الاتجاه صوب النزعة الجمالية « الاستاطيقية » أو بعبارة أخرى ينطبق على الفنون الجميلة ٠ وعلى الرغم من أننا نتكلم بطريقة مجازية عن فن الطهى ، وفن الشطرنج ، وفن الحياة ، وفن الحرب ، وما الى ذلك ، فانه لا فن الطهى ولا فن الصيد ، ولا فن الحياة ، ولا فن الحرب ، مما يمكن ادراجه تحت قائمة الفنون التى تشـــتمل على الفنـــون الاستاتيكية مثل العمارة والنحت والتصوير وما يتفرع عنها ٠٠ والفنون الديناميكية مثل الموسيقى والشـــعر والدراما والخطابة ٠

ولقد قامت محاولات كثيرة لتفسير طبيعة الفن الجوهرية والخاصية التى يتميز بها الفن عن كل مظاهر النشـــاط

الانسانى الأخرى ، الا أن هذه المحاولات أعوزها الوضوح ·· وكانت اما قاصرة عن تغطية جميع أبعاد المجال ، أو قادرة على التوسع بحيث تشمل المناشط غير الفنية · وثمة عدد من الكتاب فى فلسفة الجمال من أفلاطون وشيلر الى ك · لانج ، قاموا بتعريف الخاصية غير النفعية وغير المادية للفن ، ففسروه بأنه نوع من اللعب ، وهى النظرية التى لا يمكن التوفيق بينها وبين الفكرة المجمع عليها الآن . والتى تذهب الى أن الخوف الوهمى من قوى الطبيعة المجهولة هو أحد الينابيع الرئيسية فى الابداع الفنى لدى الانسان البدائى الذى يحاول بمنتجاته الفنية أن يهدىء من روع القوى الغامضة التى تناصبه العداء ، أو أن يخلق رموزا للثبات والاســـتقرار يركن اليها فى عالمه الذى يدعو الى الحيرة والارتباك ·

وفى ضوء التفكير الحديث تلاقى نظرية تسرب الانفعال « الامباثى » نفس القدر من عدم الكفاية والاقناع · وهى النظرية التى قالها هرور لأول مرة ، وقام بتفصيلها آخرون من أمثال (فرتون لى) وهى اذ تلقى ضوءا قيما على الطبيعة الحقيقة للذة الجمالية ، لا تمدنا بحل كامل للمشكلة التى أثارها البحث عن القانون الأساسى فى الفن ·

وسواء وجد هذا الحل فى معادلة كروتشيه عن الفن والحدس ، أو فى فكرة « اللذة الموضوعية » عند سانتيانا ، فان التعريف الذى لا يخلو من تضليل والشائع عند الناس،

وهو التعريف القائل بأن الفن فى الطبيعة أو أن الفن هو الطبيعة ، لايزال هذا التعريف قائما فى بعض الأذهان · ولقد اقترب تولستوى من الحقيقة فى تأكيده على الدافع الوجدانى من حيث أنه لا غناء عنه لكل نوع من أنواع التعبير الفنى · ولو أنه للأسف الشديد ضل طريقه عندما قام بتفصيل النظرية »[١] ·

هذا كل ما كتب تحت كلمة « فن » خلاصته عرض للمحاولات السابقة ، لكن ماهو الفن ؟ لاشىء · وقد كنت أتوقع أن أخرج بشىء يغنى عن الفن أو تعريفه ، خاصة بعد أن قال بأول حديثه : « حتى كان التعريف الجمالى « الاستاطيقى » الأكثر تحديدا وخلوصا · وهو التفسير الذى وضعه المفكرون المحدثون » لكن لم أخرج ، ولم يكن حالى بعد هذه العبارة الى آخر ما قاله بأحسن مما كان قبلا ، بل أسوأ ·

وكل الذى خرجت به احساس بصورة اجتماع معقود خلف السطور لو مثل أصحابه كما أوردهم كاتب هذا الجزء من المدونة ـ بآرائهم ، لسمع القارىء الهرج والاحتداد عاليا ، ولو مثلت هذه الفقرة بمسرح لكان ذلك بالفعل ·

وتقول المعاجم : « الفن : الحال ، والضرب من الشىء والتزيين ، والأفنون بالضم : الحية ، والغصن الملتف .

---

(١) الموسوعة العربية الميسرة : ١٣١٦ ، ١٣١٧ .

والجرى المختلط من جرى الفرس والناقة ٠ والتفنين : التخليط ، وفى الثوب طرائق ليست من جنسه . أو اختلاف نسجه برقة مكان وكثافة مكان ٠

والفنان : كشداد الحمار الوحشى له فنون من العدو ٠ ورجل مفن كمسن : يأتى بالعجائب ، وهى مفنة ٠ وشعر فينان : له أفنان كأفنان الشجر أى كثيف ٠ وامرأة فينانة وفينا بالقصر كثيرة الشعر ٠

وجمع فن فنون ، وأفنان ٠ وجمع الجمع لأفنان افانين ٠٠ قال الأزهرى : واحد الأفنان اذا أردت به الألوان . فن واذا أردت به الأغصان فنن ، لذا تعددت الآراء فى تفسير قوله تعالى : « ذواتا أفنان » من سورة الرحمن ٠ قال بعضهم ذواتا أغصان ، وقال بعضهم : ذواتا ألوان ، وقال بعضهم: بل الأفنان ظل الأغصان على الحيطان »(٢) ٠

وكل هذه المعانى تدور حول الكثرة والتنوع سـواء فى المصدر ، أو الفعل ، أو الصفة فى الموصوف ٠ وهم بهذا أقرب الى وصف الجمال منهم الى وصف الفن ٠ ولاشك أن الظرف اللغوى ومقتضى الحال كان عاملا أساسيا فى تأدية كل هذه المعانى التى جاءت فى المعاجم . وما يعنونه من كلمة فن بدقة كاملة ٠

---

(٢) أنظر : لسان العرب ، وتاج العروس ، وترتيب القاموس: مادة فن ٠

ويقول ميرلو بونتى : « الفن لغة وأسلوب »[٣] · ويقول البير كامى : « الفن تقبل وتمـــرد »[٤] ويقول مالرو : « جوهره شبكة تقذف فى محيط المجهول بأمل أن تنجح فى صيد المنشود »[٥] · ويقول كاسيرر : « الفن نظام »[٦] · ويقول كرومبى : « الفن هو الصلة التى تحدث بين المؤلف والقارىء »[٧] · ويقول توفيق الحكيم : « الفن أسلوب لا غاية فيه »[٨] ·

هذه التعريفات يمثل كل واحد منها نظرة للفن من زاوية معينة ، والا لما كان كل هذا التباين ·

ويقول مارتن هيدجر بعد أن سأل : ما هى ماهية الفن ؟ الفنان هو الأصل فى العمل الفنى ، ولكن الفنان لا يعرف الا عن طريق العمل الفنى ، والاثنين لا يعرفان الا اذا حددنا ماهية الفن ، وتحديد ماهية الفن تكون عن طريق مشاهدة العمل الماثل فى عالم الواقع[٩] ·

---

(٣) فلسفة الفن : ١٧٣ .
(٤) فلسفة الفن : ٢٠٣ .
(٥) فلسكة الفن : ١٦٩ .
(٦) فلسفة الفن : ٢٠٣ .
(٧) قواعد النقد الأدبى : ١٨ .
(٨) فلسفة الفن : ٣٨٥ .
(٩) فلسفة الفن : ٢٥٩ ، ٢٦١ .

وهذا اجابة تقوم على الدور والتسلسل ، وهو باطل كما يقول المناطقة بحق ٠ آخرها الاحالة على العمل الفنى ٠

ويقول عدد كبير منهم : وردزورث ، وقرينه كولردج ، ومدام دى ستال ، وفكتور كوزان ، وسانت بوف ، وتين ، ثم جماعة الانطباعيين(١٠) وسيد قطب(١١) والعقاد(١٢) ـ يقول : « الفن تعبير » وهم يعنون بذلك نفى التقرير والتجريد ولغة العلم عن الفن ٠ فكأنما يقولون : الفن تعبير لا تقرير ٠ ولنذكر مثالا لزيادة التوضيح المتنبى عندما مدح مساورا باقتداره على ابن يزداد بقوله :

فغدا أسيرا قد بللت ثيابه
بدم وبل ببوله الأفخاذا

لم يلق قبلك من اذا اختلف القنا
جعل الطعان من الطعان ملاذا(١٣)

كان يعبر عن صفة الشجاعة فى الممدوح ، والجبن فى ابن يزداد : عن طريق السلوك العملى الذى بدر من كل واحد منهما ، وما يدل عليه من شعور البول يدل على الجبن

---

(١٠) من الوجهة النفسية فى دراسة الأدب ونقده : ٢٥ ٠

(١١) النقد الأدبى أصوله ومناهجه : ٢٧ ٠

(١٢) فلسفة الفن : ٣٧٣ ٠

(١٣) ديوان المتنبى ٢ : ٢٢٣ ٠

أو النكوص كما يقول علمـــاء النفس ، والدم يدل على الشجاعة والسطوة · ولو كان المتنبى عالما يقرر الحقيقة لقال : جبان وشجاع وكفى ·

هذا التعريف للفن على ما به من توفيق فى هذا الجانب، يؤخذ عليه أنه لا يشمل : فن المعمار ، وفن الطبخ ، وفن الطب ، وفن الحرب ·· وما الى ذلك · وبعبارة مألوفة لا يشمل الفنون العملية ، لأن هذه ليست تعبيرا بأى حال من الأحوال ·

هذه أشهر المحاولات لتعريف الفن أهمها « الفن تعبير » لكثرة القائلين به ، وثقل وزنهم وقبوله التطبيق الى حد ما · وكلها غير موفقة · ولا يمكن أن يكون الفن كل هذا ، ولو كان لكان لدينا اليوم فنون متباينة ، لا فى الموضوع والاسلوب فحسب ولكن فى الجوهر والماهية ، ولما كان الرسم هو الرسم والرقص هو الرقص ، والموسيقى هى الموسيقى ، منذ عهد الانســـان بالكوخ الى عهده بناطحات السحاب والضباب بأوربا وأمريكا ، بقطع النظر عن الأسلوب والموضوع بأوربا اليوم ، وأوربا بطورها البدائى · وقد دلت الاكتشافات بالكهوف بجنوب فرنسا أن رسم البدائيين للثيران كرسمنا اليوم لها من حيث اللون والشكل · أو كرسم بيكاسو لها فى الأقل · فالرسم هو الرسم منذ أن كان الى اليوم ، كذلك فن الرقص وبقية الفنون ·

ويبدو لى أن هذا الارتباك فى فهم الفن وتحديده راجع الى أن المفكرين لم يحددوا سلفا الجمال ، أو لم يتوصلوا الى تحديده ، والى تحديد علاقاته بالخير ، والحق ، والنفع، ومن ثم كان الخلط بين كل هذا والفن · فكان الفن مرة لغة (الفن أسلوب) ومرة أخرى انسانا (الفن تقبل وتمرد) ومرة ثالثة نظاما (الفن نظام) ومرة رابعة فوضى (الفن أسلوب لا غاية فيه) ·· الى آخر ما وصف به الفن ·

ما الفـــن اذن ؟

الفن بعد أن حددنا الجمال ، وبعد أن حددنا علاقاته المتداخلة بالخير والحق والنفع ، وبعد أن حددنا الفارق بين الترجمة والتقرير ٠

ليس كل ما قالوا ، ولكنه ببساطة : مجرد قدرة يمنحها الله بعض عباده ٠ شأنه فى ذلك شأن القدرات الخاصة التى يتحدث عنها علماء النفس فى مجال التربية والتعليم ــ قدرة ثم تصقل بالدربة والتوجيه، بواسطتها يستطيع الفنان أيا كان فنه أن يقوم بالترجمة لما فى نفسه ونفس الآخرين أو عقله وعقل الآخرين[1] ٠

---

(١) العقل قوة من قوى النفس ، والنفس مزيج منه ومن الوجدان بنسبة ٤٠٪ للعقل و ٦٠٪ للوجـدان فى الانســان . وفى الحيوان قد يكون العكس تماما . انظر « جوهرية الفن وماهيـــة الصورة » : ١٢١ .

اذا كانت وسيلة الترجمة مادية ، كاللون ، والصوت ، واللبن والآجر ، ٠٠ مثل الشيء المترجم ماديا ٠ وأدركه القارىء ماديا ، باحدى حواسه الخمس . كما هى الحال بالرسم ، والموسيقى ، والمعمار ، والطعام ٠٠ وغيرها ٠ واذا كانت وسيلة الترجمة كلمات اللغة ، مثل الشيء المترجم عقليا ، وأدركه القارىء عقليا بالتصور والتخييل ، كما هى الحال بالأدب ٠ وكمثال نأخذ كلمة « كريم » اذا قلنا فلان كريم نكون بذلك وسمنا صاحبها بصفة الكرم بأسلوب تجريدى ، ولم نترجم عن صفة الكرم الكائنة فيه ٠ وبذلك تكون كلمة « كريم » تقريرا لا ترجمة ٠ فان تحدثنا عن بشاشة الممدوح عند مقابلة الضيوف ، أو عن قدوره ، أو عن جفانه ، أو عن عطائه ، أو عن كل هذا ، وما شابه هذا من السلوك العملى الذى يبدر من المضيف عند حضور الضيوف ، أو قلنا كما قالت الأجداد : جبان الكلب مهزول الفصيل ، نكون بذلك قد قمنا بترجمة صفة الكرم الكائنة فى الشخص أو الممدوح كما فعل المتنبى بصفة جبان وشجاع آنفا ، وكما فعلت العوراء بنت سبيع بصفة العفة والجوع بقولها فى رثاء أخيها عبد الله :

أبكى لعبد الله اذ

حشت قبيل الصبح ناره

طيـان طـاوى الكشـــح لا
يرخى لمظلمـــــــة ازاره(٢)

هذا الفارق بين كلمة تقرير وترجمة على يسره ، هو ما يجعل الصفة الواحدة موضوعا لآلاف الأبيات ، بل لآلاف القصائد ، بل لآلاف الدواوين فى الأدب العربى ، بل العالمى، والى مالا نهاية ، دون أن يشعر القارىء بالتكرار ، أو الملل وهو يقرأ هذه الصفة بكل هذا التراث ، لأنها تتعدد بتعدد الوجوه المتصفة بها ، وبتعدد الشخصيات القائمة بها ٠

ويجعل كلمة الفن تشمل الأدب ، والرقص ، والموسيقى، والتصوير ، والنحت ، والهندسة ، والطب ، والطهى ٠٠٠ تشمل كل هذا ، بل تشمل كل مظاهر الحياة من هذا وغير هذا حتى الحكم ، فسيدنا عمر كان فنانا وهو يترجم فلسفة

---

(٢) حشت : طفئت والمعنى مات . طيان : جائع عن ثراء لا عن عوز قصدا . فقد كانت العرب ترى من السيادة ألا يشبع الرجل . طاوى الكشح : مشدود الازار . لا يرخى لمظلمـة ازاره : كان الرجل فى الجاهلية ، اذا قصد أصحاب الرايات (البغايا) أستتر بالليل ، وارخى ازاره ليذهب اثره خشية أن يعرف بالصباح قيافة .

وبالمدن عندنا كالخرطوم ، كان أصحاب الأوطار يتلثمون عندما يقصدون « فريق جهنم » (حى الدعـارة بأم دور أمان) قبل أن ينزع الحياء من وجوه الناس . قاتل الله حكم الانجليز . ومن عادة الحلفاويات حتى اليوم يطلن الجلاليب حتى تجرجر بالأرض . ولســت أدرى لمـاذا ؟

الاسلام كما ينبغى أن يكون ، بذهنه وحدســـه الى حد مخالفة الرســـول الكريم من غير خـــلاف لما يريده ·
ولنا من قصة تأميم أرض السواد بالعراق خير مثال[3] ·
ومن نزول القرآن على رأيه غير مرة أقوى دليل ·

يجعل هذا وذاك ويذهب بالثنائية فى الفن التى يقول بها الجميع بلا استثناء فى الشرق والغرب · فى الشرق كالدكتور النويهى الذى يقول : « ·· الفن النفعى اذن وسيلة الى متعة ، أما الفن الرفيع فهو عين المتعة »[4] وكاســـتاذنا أحمد الشايب الذى يقول : « كذلك ينقسم الفن قسمين : أولهما الفن العملى أو النافع ·· وثانيهما الفن الجميل»[5]

---

(٣) بعد فتح العراق أراد سيدنا عمر ان يبقى سواد العراق قطاعا عاما للدولة فشـــاور كبار الصحابة ، فقـــالوا : كيف والآيـــة تقول : « وأعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه » (الآيـــة : ١٤١ من سورة الأنفال) فلم يأخذ برأيهم ، لأن حدســـه الاســـلامى قال له : ان القرآن لايمكن أن يتعارض والصـــالح العام ، فأخـــذ يسترجع القرآن . والأمر يحيك بصدره حتى قرأ الآية : « كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم » (الآيـــة : ٧ من ســـورة الحشر) فهتف وجدتهـــا وجدتها !! فسئل : فأجاب ، فأكبر الصحابة فرحته وفرحوا معه . وبقيت أرض الســـواد قطاعا عاما ، وموردا لمتطلبات الدولة الناشـــئة كما أحس وأراد .

(٤) وظيفة الأدب بين الالتزام الفنى والانفصام الجمالى : ١٤

(٥) أصول النقد الأدبى : ٥٧ ، ٥٨ .

وبالغرب قالوا « الفن تعبير » وهذا لا ينطبق على فن الطهى والحكم كماقلنا آنفا(٦) · فضلا عما قالته الموسوعة الميسرة بأول هذا الفصل · يذهب بالثنائية ، لأن الفن هو الفن أينما وجد وكيفما وجد ، تماما كالجمال فلا يوجد جمال طبيعى وآخر فنى · ولكن يوجد جمال فى الطبيعة وجمال فى القصيدة وهكذا كما سبق أن أوضحنا ـ فان أحسن مهندس بناء دار قلنا فنان ، وكذلك الطبيب والطاهية ·· كالشاعر والقاضى ســـواء بسواء · ولا فارق بين المهندس والأديب الا أن المهندس يترجم الحقائق والعقل مجردا ، والأديب يترجم مزيج الحقائق والوجدان ، أو النفس فى كلمة واحدة وأن المهمة بالنسبة للمهندس أسهل وبالنسبة للأديب أصعب ·

ويجعل الأدب بعيدا عن الخطابية ، وعن الأســـلوب المباشر(٧) ·ويجعل الصورة الشعرية فى الأدب بعيدة عن الصور البلاغية القديمة التى تقوم على تحقيق القـــاعدة البلاغية ، من حيث وجه الشبه وغيره ، من غير أن يكون هنالك رابط حقيقى من الوجد ومن ثم الجمال · من مثل عبارة : رأيت أسدا فى الحمام ·

وبالمثل بعيدة عن الصور الحديثة التى تفتقد التمازج

---

(٦) انظر صفحة (٨٣) الانفة من هـذا الكتاب .

(٧) من مظاهر الأسلوب الخطابى استخدام فعل الامر ، وضمير المتكلم والتكرار بكثرة .

والتمايز ، أو تفتقد الجمال بعد أن اتضـــح مدلول كلمة « جمال » . ومن ثم يحدث الشذوذ عند فقدان التمازج ، والغموض عند فقدان التمايز ، من مثل عبارة : كان لرائحة الورد صـــــوت غريب ، (حقا غريب) والأريج الناعم ، والعطر القمرى . ومن مثل : تعطر الأغنية ، وبياض اللحن ونعومة النغم ، الى غير ذلك مما يستخدمه الرمزيون بحجة تراسل الحواس[8] . على ما به من شذوذ أو شبه شذوذ .

ومن مثل قول باسترناك « وكان الهواء أزرق كحزمة ملابس مريض يخرج من المستشفى » . وقول مايكوفسكى « والمصباح الأصـلح يخلع باشـــتهاء جوارب الشــــارع السوداء »[9] . على ما به من غموض .

ومن مثل قول صلاح عبد الصبور بقصيدته « موت فلاح » : « ولحية الملح والفلفل . لوناها »[10] . على مابه من ابتذال .

هذه مجرد نماذج فيها بعض التمازج والتمايز ، مع ما فيها من مآخذ . لكن يوجد ماهو أكثر منها شذوذا ،

---

(٨) تطور الادب الحديث فى مصر : ٣٦٤ .

(٩) د. عبد الرحمن بدوى : الصـــورة الشـــعرية عند سانت جون برس : مجلة المجلة . عدد يناير ١٩٦١ : ٧٥ .

(١٠) ديوان صلاح عبد الصبور : ١١٣ .

وأبعد منها غموضا . خاصة عند فيليب سويو زعيم المذهب الدادى فى الأدب بفرنسا ، الذى يلخص الدادية فى هذه العبارة : « ضع الألفاظ فى قبعة ثم أخرج منها ما يعن لك فبهذا يصنع الشعر الدادى »[11] ٠

أليس هذا هو الخطل بعينه ٠ ؟!

ويجعل من مجرد التعبير قدرة عامة عند الأحياء جميعا الاّ نها بدرجات متفاوتة . من مواء القط لغة فطرة ، الى تقعيد القواعد وتقنين القوانين لغة عقل ٠ وهذا الفارق بين الفن ومجرد التعبير هو ما يجعل مجرد التعبير لا يعجز احدا ، ويجعل الفن لا يقدر عليه الا الموهوبون من البشر ٠ ويجعل الأسلوب العلمى قوامه (فى الكتابة) الحقيقة ، والأدبى قوامه الحق ٠

قالت نفسى :

ربما قال قائل أو قالت نفس قارىء : لم تأت بجديد ، ثم يورد ملاحظة عابرة لشخص ما ولا شىء بعدها ولا قبلها . فاليه ان وجد أقول مقدما : ان « معظم النظريات الخالدة فى العلم لا تعدم أن تجد لها سوابق فى المتقدمين وكتاباتهم ، ولكن الفكرة التى تستحق اسم نظرية هى ما

---

(١١) التفسير النفسى للأدب : ١٠٨ ٠

كان لصاحبها فضل عرضها وتحقيقها وتعليلها واستقراء أمثلتها »[١٢] و « ان معظم آراء كروتشيه قديمة مطروقة ولكن المهم أنه أعطى هذه الآراء والمبادىء التى نادى بها شكلا واضحا محددا »[١٣] ٠

---

(١٢) من الوجهة النفسية فى دراسة الأدب ونقده : ٩٣ ٠

(١٣) علم الجمال والنقد الحديث : الصفحة السابقة للأخيرة من المقدمة غير المرقمة ٠

علاقة الجمــال بالفن

لا تصور للجمال بلا فن ، ولا تصور للفن بلا جمال ٠ فالفن قبل أن يترجم كان فكرة فيها تمازج وتمايز أحدث جمالا ٠ والدار قبل أن تترجم كانت حقائق فيها تمازج وتمـــايز ، ثم قام الفنان المهندس بعكس ذلك على الواقع الملموس باللبنات والآجر ، وقام الأديب بعكسه بالكلمات والجمل ٠٠ ولا فارق بين الاثنين الا أن المهندس أخرج الفكرة واقعا متحققا فى الخارج بمواد البناء ، وأن الأديب أخرج القطعة واقعا متحققا فى الخيال والتصور بالكلمات ، لأن اللغة رمز للواقع وليست هى الواقع كاللبنات وغيرها ٠ وأن المهندس ترجم الحقائق من أشكال ومقاييس ومواد ، وأن الأديب ترجم الحقائق والوجدان معا ، وأن الأول ترجم العقل ،وأن الآخر ترجم النفس ٠ والنفس تساوى الوجدان والعقل معا ٠ وعلى هذا :

فالجمال هو الفن قبل الترجمة ، أو هو فن بالقوة ، والفن هو الجمال بعد أن ترجم ، أو هو الجمال بالفعل كما يقول المناطقة عن السكين : قاطعة بالقوة ، وقاطعة بالفعل بعد أن قطعت . والفنان هو الوسيط الموهوب بين الأثنين أعنى الجمال والفن ، أو هو همزة الوصل بعبارة أخرى

هذا التلازم بين كلمة فن وكلمة جمال ، هو الذى يجعل كلمة « فن » تتداخل فى الاستخدام مع كلمة « جمال » كثيرا . عن طريق المجاز حينا وعن طريق التجاوز عن الدقة حينا آخر .

تحديد العلاقات بين الفنون

بين الفنون علاقة ٠ هذا أمر مفروغ منه ، لكن ماهى الحدود الفاصلة بين هذه الفنون ، والتى يجب أن يقف عندها فنان كل فن ؟ فان تخطاها كان ظالما لنفسه ، ولفنه وللآخرين ، هذا هو السؤال ؟

الفنون التطبيقية بما فى ذلك فن الزخارف تقوم على ترجمة العقل والحقائق ، كما يفعل مهندسو المبانى والميكانيكا ، وهى بهذا أمرها واضح وحدها فاصل ، لكن الصعوبة تأتى فى الفنون الوجدانية (الرسم ، النحت ، التصوير ، الأدب ، الرقص ، الموسيقى) لتداخل حدودها الى حد بعيد حتى ضربت الأمثال ببعضها للبعض قصد

الشرح والتوضيح · قال هوراس : « شأن القصيدة كشأن الصورة »[1] · وقال الجاحظ : « الشعر صناعة وجنس من التصوير »[2] · وقال المعرى : « الشعر للخلد مثل الصورة لليد »[3] · وقال سيمونيدس : « الرسم شعر صامت والشعر صورة ناطقة »[4] ·

ومع ذلك توجد حدود طبيعية دقيقة تفصل بينهم . حتى بين الرسم والتصوير رغم التشابه البالغ بينهما . الى حد أننى لم أجد كاتبا فى القديم أو الحديث ، فى الشرق أو الغرب يفرق بينهما ، عدا أستاذى أحمد الشايب · وحتى هذا لم يسجل رأيه اليتيم فى كتابه الواضح « أصول النقد الأدبى » وهو يتحدث عن علاقة الفنون بالأدب[5] · وانما كان يقول لنا بالمدرج : (الرسم ماقد بالصخر فعل الفراعنة بآثارهم) رغم هذا التشابه بل هذه التوأمة يختلف الرسم عن التصوير · الرسم ما كان لغير الانسان · قال أمرؤ القيس :

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها
لما نسجتها من جنوب وشمأل

---

(١) فن الشعر : ٩٠ ·
(٢) الحيوان : ١٣٢ ·
(٣) خطبة سقط الزند : ١٠ بالشروح ·
(٤) فن الشعر : دكتور احسان عباس : ٦٩ ، ٧٠ ·
(٥) أصول النقد الأدبى : ٦٩ ، ٧٠ ·

وان شـــفائى عـــبرة مهراقة
فهل عند رسم دارس من معول[6]

والتصوير ما كان للانسان فقط دون المخلوقات جميعا، قال تعالى « الذى خلقك فسواك فعدلك فى أى صورة ماشاء ركبك »[7] . وقال : « هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء »[8] .. وليس لمادة رسم وجود فى القرآن اطلاقا . ولقد لفت نظرى هذا . لعل فيه تكريما لبنى آدم ، أو سرا آخر يضاف الى أسرار القرآن وبلاغته .

والرسم والتصـوير والنحت تختلف عن الأدب وعن الرقص وعن الموسيقى ، من حيث المادة المستخدمة . فالرسم يستخدم اللون والورق ، وبالمثل توأمه التصوير . والنحت يستخدم الحجر أو الخشب أو المعادن . والأدب يستخدم اللغة . والرقص يستخدم الحركات . والموسيقى تستخدم الأصوات .

وهذا فارق شكلى معلوم بالضرورة . أضـاف اليه الأستاذ المازنى : ان طبيعة هذه الوحدة (الرسم التصوير النحت) تقف عند حد ترجمة اللحظة الواحدة ، فلا يستطيع

---

(٦) المعلقة : البيت الثانى ، والسادس .
(٧) الآيات : ٧ ، ٨ من سورة الانفطار .
(٨) الآية : ٦ من سورة آل عمران .

فنان هذه الوحدة أن يعبر عن شعوره مباشرة فى اللوحة كمايفعل الشاعر أو الكاتب « فرسم امرأة بارعة الجمال وحولها نفر من الرجال تكاد عيونهم تخرج من وجوههم غاية السخف»[٨] . قال « رسم » والأمثل أن يقال « تصوير » .

والسبب أن طبيعة هذه الوحدة لا تعرف غير البعد المكانى . أما البعد الزمانى فهو عنها بعيد . وبالتجربة حاول رسامو اليوم من التجريديين والتكعيبيين أن يخرجوا عن هذه الطبيعة ، وأن يفرضوا شعورهم على اللوحات ، وأن يجعلوا من أنفسهم كتابا ، ومن لوحاتهم كتابا يقرأ ككتاب الوساطة ، فلم يمكن ، لأنه ليس من الممكن أن تكتب كتابا فى صفحة واحدة ، أو فى صفحة ليس بها حرف واحد . فكانت العناوين للوحاتهم عنوان فشل .

وليس هذا لقصور فيهم ، ولكن خامة هذه الوحدة (الرسم ، التصوير ، النحت) ليس لها من المرونة ما يخرجها من حيز المكان الى حيز الزمان . واللون والفرشاة كالصخر والازميل فى هذا الجانب . صحيح فيه وفيها بعض السهولة ، لكن السهولة شىء ، والمرونة شىء آخر . ولرسام اليوم بعد ذلك أن يجمع بين الرسم والأدب ان كان له من الاستعداد مايطيق ، بعد أن اتسعت المعرفة فى هذا

---

(٨) مكرر : حصاد الهشيم : ١٦٥ .

العصر وتداخلت[٩] . والا فليقنع بما قسمه الله له ، ان أدبا فأدب ، وان رسما فرسم ، كما كانت الحال بالأمس قبل أن تتداخل المراكز المادية ، والأهواء الشخصية وتفرض وجودها على الفن وغيره ، وتحاول أن تجعل من المعارف نكرات ومن النكرات معارف فى المجتمع . وبعبارة نحوية أخرى أو تجعـــل من النكرات نكرات مقصــــودة ، لغاية مقصـــودة ، ولفترة محـــدودة . ثم تلقى وتداس كعقب السيجارة بعد تقبيل ــ فهذا (أعنى أن يرضى كل واحد بما قسم له) ، لصفاء النفوس ولفنها أجدى وأبقى .

هذا ما كان من قبل من فروق بين الفنون ، توصل اليها الباحثون فى الفن « اليها أضيف أن الفنية بمعنى القدرة على الترجمة ، والموضوعية فى هذه الوحدات (الرسم ، التصوير، النحت) أوضح من الجمالية والذاتية فى الأدب ، والعكس فى الأدب ، أو فن الكلمة بشكل عام ، الجمالية والذاتية أوضح من الموضوعية والفنية فى هذه الفنون ، لأن الرسام أو المصور أو النحات ، لا يقوم بخلق الموضوع ، حتى عند التخيل ، لأن التخيل مهما جنح أو ارتفع لا يخرج عن نطاق الحس أو أقطاره اطلاقا ، ولكن يقوم بنقل الموضوع بتدخل يسير يبعده عن السلبية والآلية قليلا . وذاتية الفنان فى

(٩) من أوضح الأمثلة الآن بذهنى السيد/ حسين بيكار بجريدة الأخبار القاهرية لما له من استعداد طيب يجمع بندرة بين الشعر والنثر والرسم والتصوير والفكر العميق .

هذه الوحدات تكاد تنحصر فى اختيار الموضوع من الواقع أو الذاكرة ، وتنحصر فى قدرته على النقل · أعنى تنحصر فى الفن والموضوع ·

أضف الى هذا الفارق فارق آخر هو أن الرسام أو المصور أو النحات ، بحكم طبيعة هذه الوحدات التى تحكم وتتحكم فيه ، لا يستطيع أن يخلق الجمال ، ولكن ينقل الموضوع كما هو ـ تقريبا ـ على ما به من جمال ان كان جميلا ، وعلى ما به من قبح ان كان قبيحا · بينما الأديب أو الشاعر عليه أن يخلق الجمال بذهنه قبل أن يترجمه الى واقع متصور بالكلمات(١٠) ·

هذا الفارق هو الذى يجعلنا نقدر أولا مقدرة فنانى هذه الوحدات على نقل الجمال ، ثم يأتى الاعجاب بجمال اللوحة بعد ذلك ان كان الموضوع جميلا فيما بعد ، مرحلة أخرى · ويجعلنا نعجب بالصورة وان نقلت قبحا ، أو نقلت صورة خادم مكان أميرة كما كان يفعل الرومانتيكيون عقب الكلاسيكيين ، ويجعلنا نعجب ونقدر ونضن باللوحة الزيتية ، ولا نعجب بها ذاتها ان نقلت آليا · ولا نعجب بأخرى أروع منها اذا كانت رسمت بآلة · اذ لا دخل للانسان فيها الا فى اختيار المنظر وزاوية العدسة ·

---

(١٠) « كلمة شاعر باليونانية تعنى فى اللاتينية الخالق الذى يبدع كما يقول سبيرمان » : انظر مجلة المجلة عدد ١٩٥٧/٩ : أسرار الابداع الفنى : د· محمد مصطفى هدارة ·

ولا تعنى هذه الطبيعة ابعاد ذاتية الفنان جملة ، ولكن تعنى أن يقف عند هذا الحد ، وله بعد ذلك أن يختار من المواقف السلوكية ما شاء ، وأن يؤلف ما شاء ، ليعبر بها عن كل ما هو قيم وبناء ، بل هو مطالب بذلك ان كان فيه من الوعى والأمانة ، ما يسمح بالمطالبة ، أو المخاطبة ٠٠ كما لا تعنى الهروب ، أو التهرب الى التجريد أو التكعيب لمجرد أن الآلة غزت قدرة الفنان على النقل ، وزاحمته سر مهنته كما يقولون ٠ ولكن تعنى الثبات بشجاعة فكرية لخلق مواقف فيها من القيم الانسانية مالا يمكن أن يتأتى للآلة ٠ وقديما قال أرسطو : « ولو برع المرء فى تأليف أقوال تكشف عن الأخلاق ، وتمتاز بفخامة العبارة ، وجلال الفكرة لما بلغ المراد من المأساة ، انما يبلغه حقا بمأساة أضعف عبارة وفكرة ، ولكنها ذات خرافة وتركيب أفعال »(١١) ٠ وعلى هذا فذاتية فنانى هذه الوحدة تنحصر فى اختيار الموضوع من الواقع أو من الذاكرة ، وتنحصر فى القدرة على نقل ما اختار ٠

هذه الوحدات بهذا البعد المكانى ، وهذه الطبيعة ، أسهل فى الفهم من الأدب والموسيقى والرقص ، ذوات البعد الزمانى ، لأنها تنقل لحظة واحدة يمكن استيعابها بنظرة ثابتة ٠ وهذا ما يجعلها مفهومة للكبير والصغير ، والعربى

---

(١١) فن الشعر : لأرسطو : ترجمة : د. عبد الرحمن بدوى : ٢١ ٠

والعجمى ، ويجعل الأدباء والنقاد يضربون المثل بالتصوير كثيرا للشرح والتوضيح · ويجعل أمثل الصور الشعرية ، ما كان نقلا للواقع وعكسا للسلوك الانسانى بلا تشبيه أو استعارة ·· من مثل قول المتنبى:

سـدت عليه المشـرفية طرقه
فانصـــاع لا حلبا ولا بغداذا

فغدا أسـيرا قد بللت ثيـابه
بدم وبل ببـوله الأفخـاذا ·

ومن مثل فى يوم المدائن بفتح فارس « عبر المسلمون دجلة ترمى بالزبد بالخيول يتحدثون فى عومهم مايكترثون كما يتحدثون فى سيرهم على الأرض ··· ثم خرجوا من الماء والخيل تنفض أعرافها صاهلة »(١٢) · دليل قوة وفرط نشاط · ومثل هذا كثير شعرا ونثرا · يكفى هذا منه ·

وكما أن الرسام والمصـور والنحات اذا حاولوا أن يخرجوا عن طبيعة فنهم يفشلون ، كذلك الأديب يفشل اذا حاول الخروج عن طبيعة فنه وحدوده · كأن يقوم بنقل اللحظة أو اللحظات خالية من أثرها فيه ، وشعوره نحوها ، فينقل فن الكلمة من البعد الزمـانى الى البعد المكانى ، وبالفعل فشل البرناسيون عندما التزموا الحيدة التامة فى

---

(١٢) أيام العرب فى الاسلام : ٣٠٤ ، ٣٠٥ ·

أدبهم متأثرين بموجة الحيدة العلمية ، وباستير وغيره من علماء الطبيعة والكيمياء بتلك الفترة · ومتأثرين بادمان الرومانتيكية معاطاة الخيال ، فكانت الحيدة التامة ، هى رد الفعل الطبيعى لهذا التطرف ـ فشلوا رغم دقة صورهم « البلاستيكية » ولن يوفق غيرهم ، لأن الخروج عن طبيعة الأشياء مستحيل · (والأنسب للشعر أن يهتم بأثر الجمال لا بمؤثراته) كما يقول المازنى(١٣) ·

من هذا يتضح أن لا علاقة بين وحدة الرسم ، والأدب الا فى ترجمة الوجدان · عدا هذا فالأدب يخلق الجمال ويترجمه ، ويؤثر فينا بالجمال والترجمة ، ولا فرق بين أن يكون الشىء جميلا حقا فى الحياة والواقع ، أو غير جميل ·· فهذا جانب مقطوع عنه النظر · الذى يهم أن هنالك تمازج وتمايز آخر أحدث جمالا آخر فقد فيه الشىء قيمته الذاتية واستقلاله ، واكتسب قيمة جمالية أخرى ، عن طريق علاقات جمالية أخرى مع بقية الوحدات بالعمل الأدبى ·

وأن الرسم يترجم الجمال البصرى ، ولا يخلقه اطلاقا، حتى ولو كان متخيلا ، لأن الخيال مهما جنح لا يخرج عن اطار المحسوسات · ويؤثر فينا بالقدرة على الترجمة فى المقام الأول ، ثم بالجمال تبعا ان كان فى المنقول جمال ، والا فبالترجمة ان كان فى المنقول قبح ·

---

(١٣) حصاد الهشيم : ١٧٠ ·

وأن الأدب ببعد اللغة الزمانى يستطيع أن ينقل شعور الأديب ، وأن يعبر عن شعور الآخرين · ووحدة الرسم تنحصر مهمتها فى النقل الحسى ، وتعجز عن نقل الشعور أيا كان ، لأن البعد المكانى لا يحتمل ذلك · وأن الذاتية فى الأدب أوضح من الموضوعية · وفى وحدة الرسم الموضوعية أوضح من الذاتية ·

بهذا الفهم قال أوستن وارين : « ·· لو قارنا بين شعر بليك ورسومه أو أخذنا روستى مثالا آخر لظهر لنا أن خصائص رسومهما شديدة الاختلاف بل التشعب »(١٤) ·

وقال لسنج : « فن التصوير لا ينبغى أن يعالج موضوعات لا يمكن علاجها الا بالشعر · كذلك لا ينبغى للأدب أن يحاول ماهو من اختصاص فن التصوير »(١٥) · وقال الأستاذ المازنى ما خلاصته : (فان لكل من الفنين الأدب والرسم دائرة اذا تعداها ضعف وسمج ولحقه الوهن وقصر عن الغاية)(١٦) ·

ولا أعنى بهذا قطع صلة الأرحام بين الفنون ، بقدر ما أعنى تحديد هذه الصلة ومراعاتها حرصا على المستقبل وصالح الجميع ·

---

(١٤) نظرية الأدب : ١٧٤ ·

(١٥) قواعد النقد الأدبى : كرومبى : ١٧٩ ·

(١٦) حصاد الهشيم : ١٦٧ وما بعدها ·

علاقة الموسيقى والرقص بالأدب

الموسيقى صوت غفل كما يقول ابن جنى . يشـــكله العازف كيف يشاء . تتفق وفن الأدب فى البعد الزمانى ، وتختلف عنه وعن وحدة الرسم اختلاف جوهر وبيان هذا :

الانسان عند الألم يصرخ ، وعند الحزن يبكى ، وعند الفرح يضحك . وهكذا . وهذا تعبير فطرى عن الوجدان . وهو يمثل اللغة الفطرية الأولى التى بدأ بها الانسان يتحدث .. وحتى اليوم هو اللغة المشتركة بين شـــــعوب العالم أجمع .

ثم أتت اللغة وعبرت بكلمة صرخ وبكى وضحك عن تلك المشاعر وتعبيراتها الفطرية . وبالمثل فى بقية اللغات . ثم أتى الأدب وترجم هذه المواقف وهذه المشاعر عن طريق اللغة . وبذا كان الأدب ترجمة مباشرة أكرر مباشرة لما فى الحياة . كذلك وحدة الرسم .

والموسيقى لا تفعل ذلك ولكن تثير وجد الفرح وغيره بواسطة الذبذبات الصوتية . فهى بهذا والأدب على طرفى نقيض . الأدب يصور ما أثير من وجد وما ترتب عليه من سلوك . والموسيقى تعكس الوضع فتثير الوجد سواء أكان سبق تصويره فى قصيدة ما أو لم يسبق تصويره . فبالنأى تشم رائحة الريف ، والحنين اليه . وبالطبول تخوض لهيب

الحرب (من هذا القبيل الموسيقى التصويرية) وأغرب من هذا أن الأمام الغزالى بعد أن اخترع آلة القانون دخل على جماعة بمنزل فعزف عليهم لحنا فأبكاهم ، ثم عزف آخـــر فأضحكهم ، ثم ثالثا فأنامهم ، فتركهم وخرج ٠

هذه‌هى طبيعة الموسيقى ، فاذا حاول أى موسيقار أن يخرج عنها الى الترجمة كما يفعل الأدب ، أو الى التقرير كمايفعل الرسم ٠ بمعنى أن يجعل من نفسه أديبا أو رساما . فشل ٠ وبالفعل أسمع بتهوفن الناس بسمفونية « الموقعة » أصوات المدافع والبنادق ، فنجحت ساعة ميلادها ٠ ثم أخذت قيمتها تهبط عند المتذوقين والنقاد ، بسبب واقعيتها حتى احتقرها بتهوفن ذاته(١) ٠

والرقص يتفق وفن الأدب فى البعد الزمانى ، لـــكنه يختلف عنه وعن وحدة الرسم اختلاف جوهر أيضا ، لأن الأدب ترجمة لسلوك ما ٠ كما قلنا آنفا ٠ على حين أن الرقص سلوك مباشر لجيشان وجدان ما ٠ والأدب موقف فأديب فقارىء ٠ والرقص موقف فراقص ٠ ولا شىء بعد هذا أعنى لا جمهور يقرأه كما يقرأ القصيدة أو اللوحة ٠ وانما الأمر ينتهى بانتهاء التوقف عن اثارة الوجد ٠ وهو بهذا ممارسة ذاتية ، ومتعة شخصية بحتة ٠

---

(١) الموسيقى السمفونية : حسين فوزى : (سلسلة اقرأ) : ١٨٥ ٠

وهذا ما يجعـــل من الرقص ظـــاهرة عامة لدى كل الشعوب البدائية منها والمتحضرة على السواء ؛ بل فى البدائية أكثر · وقد لاحظ ابن خلدون هذا فقال بمقدمته : « قد رأينا من خلق السودان على العموم ·· كثرة الطرب ، فنجدهم مولعين بالرقص على كل توقيع »(٢) · ويجعل منه لغة عالمية كما هى الحال بالموسيقى · ويجعل العلاقة بين الرقص والموسيقى علاقة تلازم ، لأن البدائية بالموسيقى أوضـــح فيها من بقية الفنون · وكلاهما أعنى الرقص والموسيقى – يرتبط بالوجدان ارتباطا مباشرا · اما اثارة للوجدان ، أو عكس للوجدان عن طريق السلوك المباشر · أعنى حركات الرقص ·

وختاما نقول : ان الفنية فى وحدة الرسم أوضـــح ، وتذوقها أسهل · وفى الأدب الجمالية أوضح وتذوقه أصعب ·· وفى الموسيقى والرقص الجمالية بقدر ، والفنية بقدر ، والبدائية بأقدار ، حتى صارت شيكا سياحيا ·

ولا توجد « عـــلاقة جوهرية بين الفنون والا لوجدنا تطورها بسرعة واحدة فى وقت واحد ومكان واحد ، ولما

---

(٢) مقدمة ابن خلدون : ٨٠ . السودان : كانت هـذه الكلمة يوم ذاك تعنى ما يعرف اليوم بكلمة أفارقة . ثم أصبحت علما على السودان اليوم . كما هى الحـال بالبحرين كانت تطلق على الخليج العربى من عمان الى الكويت . والآن على دولة جزيرة البحرين فقط .

وجدنا أمما معينة تنبغ فى فن أو فنين وتقعد عن البقية»[3]
.. كما يقول واســتن ورينه ويليك بحق . لاحظ كلمة
« جوهرية » الواردة فى أول الفقرة . وقصدهم من كلمة
« فنون » وحدة الرسم ، وحدة الرقص ، ووحدة الأدب .
لا فن الطب والطهى والهندسة ، لأن هذه خارجة بالبداهة ،
لأنها تقوم بترجمة العقل المحض .

---

(3) نظرية الأدب : 174 .

وبعـــد

بعد أن أتم الله نوره ، لا يسعنى أن أضع القلم أو أرفع يدى دون أن أحمد الله كفاء ماوفق · وليتنى أستطيع :

الحمــــد لله

المصـــادر والمراجـــع

كلمــة عن المراجــع

المراجع التى استعنت بها وأعانتنى فى هيكلة هذا البحث وفكره كثيرة جدا · الى حد يصعب معه سردها جميعا · لذا سأكتفى بذكر المرقم بهامش الكتاب ·

هذا جانب· وجانب آخر · الباحث فى الجمال، أو الفن، أو النقد بعامة عليه الاطلاع على ما قاله « كانط » وهو ألمانى وعلى ما قاله « كرومبى » وهو انجليزى ، وعلى ما قاله « ديكارت » وهو فرنسى ، و « كروتشى » وهو ايطالى » و « سانتيانا » وهو أسبانى ، و « هوراس » وهو لاتينى ، و « أرسطو » وهو اغريقى ، و « ماو » وهو صينى ، و « دوستوفسكى » وهو روسى ، و « طاغور » وهو هندى ، الى غير ذلك · وهو كثير ، لأن طبيعة هذه العلوم أو هذه المباحث تقتضى ذلك ·

ولو حاول باحث أن يحسن تعلم هذه اللغات ، الى حد فهم لغة آدابها ، لذهب عمره دون أن يبلغ الغاية · ولو بلغ لما وجد مكانا بذهنه يسع أي دراسة أخرى ، دعك من دراسة تمثل الفكر الانساني كالجمال والفن والنقد · اذن لا بديل للاعتماد على الترجمة فى هذا الجانب · ولا معنى أن يذكر الباحث المراجع الألمانية أو الفرنسية ويدع غيرها ، لأن ما كتب بها لا يعدو أن يكون مترجما بدوره اليها ، عدا ما قاله الألمان أنفسهم ·

كان بذهنى أن أقول هذا بالمقدمة · ثم عدلت به الى هنا ·

أولا : المخطوطات

١ ـ د · عبد الله شيخ عووضه : « الصورة الشعرية عند المعرى » بتاريخ غرة المحرم ١٣٩٦ هـ الموافق ٢/١/ ١٩٧٦ ، مكتبة جامعة القاهرة ·

٢ ـ د · عبد الله شيخ عووضه : « جوهرية الفن وماهية الصورة » بتاريخ ٢٧ شعبان ١٣٩٨ هـ الموافق ١/٨/ ١٩٧٨ · مكتبة جامعة القاهرة ·

ثانيا : الصحف والدوريات

١ ـ أنيس منصور : « أخبار اليوم » بتاريخ ٢٦/١٠/ ١٩٧٤ القاهرة ·

٢ ـ رجاء جارودى : « المصور » العدد ٣٠٤٧ بتاريخ ١٩٨٧/٣/٤ القاهرة ٠

٣ ـ د ٠ رشاد خليفة : « آخر ساعة » بتاريخ ١١/٢٨ / ١٩٧٣ القاهرة ٠

٤) د ٠ عبد الرحمن بدوى : « مجلة المجلة » عدد يناير ١٩٦١ ٠

٥ ـ د ٠ محمد غنيمى هلال : « مجلة المجلة » عدد ديسمبر ١٩٥٩ ٠

٦ ـ د ٠ محمد مصطفى هدارة : « مجلة المجلة » عدد ديسمبر ١٩٥٧ ٠

ثالثا : المطبوعات

١ ـ الآمدى (الحسن بن بشر بن يحيى ت ٣٧١ هـ ـ ٩٨٧ م) : « الموازنة بين أبى تمام والبحترى »

٢ ـ آرنولد هوسر : « فلسفة تاريخ الفن » ترجمة : رمزى عبده مراجعة د ٠ زكى نجيب محمود ٠ ط ١٩٦٨ الناشر جامعة القاهرة ٠

٣ ـ أرسطو : « فن الشعر » ٠ ترجمة مصطفى بدوى ٠ ط ١٩٥٣ القاهرة ٠

٤ ـ ابن جنى (أبو الفتح عثمان بن جنى) : «الخصائص»

تحقيق محمد على النجار • ط ١٣٧١ هـ ـ ١٩٥٢ •
القاهرة • الناشر دار الكتب المصرية •

٥ ـ ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) : « مقدمة ابن خلدون » • ط دار الشعب بالقاهرة غير مؤرخة •

٦ ـ ابن رشيق (أبو على الحسن بن رشيق القيروانى): « العمدة » ط أولى ١٣٤٤ هـ ـ ١٩٢٥ القاهرة •

٧ ـ ابن سلام (محمد بن سلام الجمحى) : « طبقات فحول الشعرا » • تحقيق : محمود محمد شاكرا ، مطبعة المدنى القاهرة ١٩٧٤ •

٨ ـ ابن عبدد ربه (أبو عمر أحمد بن عبد ربه الأندلسى)• « العقد الفريد » • شرح وتحقيق أحمد أمين ، وأحمد زين ، وأبراهيم الأبيارى • نسخة مصـــورة عام ١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٥ عن دار الكتب المصرية عام ١٩٤٠ •

٩ ـ ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور) : « لسان العرب » ط أولى ١٣٠٠ هـ مطبعة بولاق القاهرة •

١٠ ـ أبو تمام (حبيب بن أوس) : « ديوان أبى تمام »

١١ ـ أبوالعلاء (أحمد بن عبد الله بن سليمان) : « سقط الزند » شرح الخوارزمى ، والتبريزى ، والبطليوسى وقد جمعت حديثا تحت عنوان « شـــروح السـقط »

تحقيق : مصطفى السقا ، وعبد الرحيم محمود ، وعبد السلام هارون ، وابراهيم الأبيارى ، وحامد عبد المجيد باشراف د · طه حسين · ط دار الكتب عام ١٣٦٥ هـ ـ ١٩٤٦ القاهرة ·

١٢ ـ أبو الفرج الأصفهانى (على بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم بن عبد الرحمن بن مروان بن عبدالله ابن مروان بن محمد بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف · القرشى الأموى) : « الأغانى » · ط ١٩٥١ · دار الثقافة بيروت ·

١٣ ـ د · احسان عباس : « فن الشعر » · ط ثالثة بيروت ·

١٤ ـ أحمد حسن الزيات : « وحى الرسالة » ط ١٩٥٠ مطبعة الرسالة ·

١٥ ـ أحمدالشايب : « أصول النقد » · ط رابعة ١٣٧٣ هـ ـ ١٩٥٣ مطبعة نهضة مصر ·

١٦ ـ أحمد الشايب : « الأسلوب » ط ثالثة ١٣٧٢ هـ ـ ١٩٥٢ مطبعة نهضة مصر ·

١٧ ـ امرؤ القيس : « ديوان امرىء القيس » ·

١٨ ـ أوستن وارين بالاشتراك مع رينيه وليك : « نظرية الأدب » ترجمة محيى الدين صبحى · ط ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٢ ·

١٩ ــ البياتى (عبد الوهاب البياتى) : «تجربتى الشعرية» ط ١٩٦٨ بيروت ٠

٢٠ ــ الجاحظ (ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ) : « البيان والتبين » تحقيق وشرح السندوبى ٠ ط أولى ١٣٥١ هـ ــ ١٩٣٢ القاهرة ٠

٢١ ــ حامد عبد القادر : « دراسات فى علم النفس الأدبى » ٠٠ ط ١٩٤١ القاهرة لجنة البيان العربى ٠

٢٢ ــ حسن طه : « ديوان حسن طه ٠٠ هتاف الجماهير » ط أولى ٠

٢٣ ــ حسين فوزى : « الموسيقى السيمفونية » سلسلة اقرأ

٢٤ ــ دنيس هويسمان : « علم الجمال » (الاستطيقا) : ترجمة أميرة حلمى مطر ٠ مراجعة د ٠ أحمد فؤاد الأهوانى ط ١٩٥٩ دار احيـــاء الكتب العربية ٠ مطبعة عيسى البابى الحلبى ٠

٢٥ ــ د ٠ زكريا ابراهيم : «فلسفة الفن فى الفكر المعاصر» ٠٠ ط ١٩٦٦ ٠

٢٦ ــ الزوزنى (الحسين بن أحمد الزوزنى) : « شــرح المعلقات السبع » ٠

٢٧ ــ صلاح عبد الصبور : « ديوان صلاح عبد الصبور » ٠٠ ط ٠ بيروت ٠

٢٨ ـ سارتر (جون بول سارتر) : « ما الأدب » ترجمة: د ٠ محمد غنيمى هلال ٠ ط ١٩٧١ الأنجلو المصرية٠

٢٩ ـ س ٠ أولمان : « دور الكلمة فى اللغة » ترجمة : كامل محمد بشير ٠ ط ١٩٦٢ دار الطباعة القاهرة ٠

٣٠ ـ سانتيانا (جورج سانتيانا) : «الاحساس بالجمال»: ترجمة د ٠ محمد مصطفى بدوى مراجعة وتصدير د ٠ نجيب محمود ٠ ط ٠ ١٩٦٠ ٠ الأنجلو المصرية٠

٣١ ـ سيد قطب : « النقد الأدبى أصوله ومناهجه » ط ثانية ٠ ١٩٥٤ القاهرة ٠

٣٢ ـ طاهر أحمد الزاوى : « ترتيب القاموس » ط أولى ١٩٥٩ مطبعة الرسالة ٠

٣٣ ـ عبد الرازق نوفل : « الاعجاز العددى فى القرآن » ٠٠ ط أولى غير مؤرخة ، الا أننى أذكر جيدا أن صدورها كان فى مايو ١٩٧٥ ٠ الناشر دار الشعب بالقاهرة ٠

٣٤ ـ عبد العزيز حمودة : « علم الجمال والنقد الحديث » غير مؤرخة ٠

٣٥ ـ عبد القاهر الجرجانى : « دلائل الاعجاز » تصحيح الشيخ محمد عبده ، والشيخ محمد محمود التركزى الشنقيطى ٠ ط ١٣٣١ هـ ـ الناشر السيد محمد رشيد رضا ٠ مطبعة المنار بالقاهرة ٠

٣٦ ـ عبد القاهر الجرجانى : « أسرار البلاغة » ط سادسة ١٣٧٩ هـ ـ ١٩٥٣ ٠

٣٧ ـ د ٠ عبد الله الطيب : «المرشد الى فهم أشعار العرب» ط ثانية ١٩٧٠ بيروت ٠

٣٨ ـ د ٠ عز الدين اســماعيل : « الأسس الجمالية فى النقد العربى » ط ٥/١٢/١٩٦١ القاهرة ٠

٣٩ ـ د ٠ عز الدين اسماعيل : « التفسير النفسى للأدب » ط دار المعارف مصر عام ١٩٦٣ ٠

٤٠ ـ العقاد (عباس محمود العقاد) : « مراجعات فى الأدب والفنون » غير مؤرخة ٠ لكن يبدو أنها طبعة أولى ٠ المطبعة المصرية القاهرة ٠

٤١ ـ العقاد : « مطالعات فى الكتب والحياة» ط ١٣٤٧ هـ ـ ١٩٢٤ المطبعة التجارية الكبرى القاهرة ٠

٤٢ ـ على الجارم (بالاشــتراك مع أحمد أمين وأحمد الأسكندرى) : « المنتخب من أدب العرب » الجزء الرابع ط ١٩٣٧ الناشر وزارة المعارف المصرية ٠

٤٣ ـ على بن عبد العزيز الجرجانى : « الوساطة بين المتنبى وخصومه » : تحقيق وشرح محمد أبوالفضل ابراهيم ، وعلى محمد البجاوى ، ط رابعة ١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٦ القاهرة ٠

٤٤ ـ كرومبى (لاسل أبرت كرومبى) : « قواعد النقد الأدبى »ترجمة محمد عوض ٠ ط ١٩٣٦ القاهرة ٠

٤٥ ـ المازنى (ابراهيم عبد القادر المازنى) : « حصاد الهشيم » ط ١٩٣٢ المطبعة العصرية القاهرة ٠

٤٦ ـ المبرد (أبو العبـــاس محمد بن يزيد الأزدى) : « الكامل » تحقيق محمد أبو الفضل والسيد شحاته ٠٠ ط ١٣٧٦ هـ ـ ١٩٥٦ القاهرة ٠

٤٧ ـ المتنبى (أبو الطيب أحمد بن الحسين) : « ديوان المتنبى » شرح البرقوقى ٠ ط ١٣٥٧ هـ ـ ١٩٢٨ ٠

٤٨ ـ محمد أحمد جاد المولى ، ومحمد أبو الفضل ابراهيم وعلى محمد البجاوى : « أيام العرب فى الجاهلية والاسلام » ٠ ط ١٣٦١ هـ ـ ١٩٤٢ ٠ عيسى البابى الحلبى القاهرة ٠

٤٩ ـ محمد خلف الله : « من الوجهة النفسية فى دراسة الأدب ونقده » ط ١٩٤٧ القاهرة ٠

٥٠ ـ محمد شفيق غربال : « المشرف على مجموعة العمل فى مشروع الموسوعة » غير مؤرخة ٠ لكن خطاب عرض الفكرة موقع بتاريخ ١١/٦/١٩٥٩ ٠ الطابع دار القلم القاهرة ٠

٥١ ـ محمد عشرى الصديق : « آراء وخواطر » ط ١٩٦٩ القاهرة ٠

٥٢ ــ محمد مرتضى الزبيدى : «تاج العروس» ط ١٣٠٦هـ
٠٠ المطبعة الخيرية القاهرة ٠

٥٣ ــ محمد هاشم عطية : « الأدب العربى وتاريخه » ط ثالثة ٠ مصطفى البابى الحلبى ٠ القاهرة ٠

٥٤ ــ د ٠ مصطفى ناصف : « الصورة الأدبية » ط أولى ١٢٧٨ هـ ــ ١٩٥٨ دار مصر للطباعة القاهرة ٠

٥٥ ــ د ٠ النويهى (محمد النويهى) : « طبيعة الفن ومسئولية الفنان » (محاضرات) ط ١٩٥٨ القاهرة ٠٠ الناشر معهد الدراسات العربية العالية ٠

٥٦ ــ د ٠ النويهى : « وظيفة الأدب بين الالتزام الفنى والانفصام الجمالى » ٠ ط ١٩٦٧ القاهرة معهد الدراسات العربية العالية ٠

٥٧ ــ هوراس (٦٥/٨ قم) : « فن الشعر » ترجمة : يس عوض ٠ ط ١٩٤٧ مكتبة النهضة المصرية القاهرة ٠

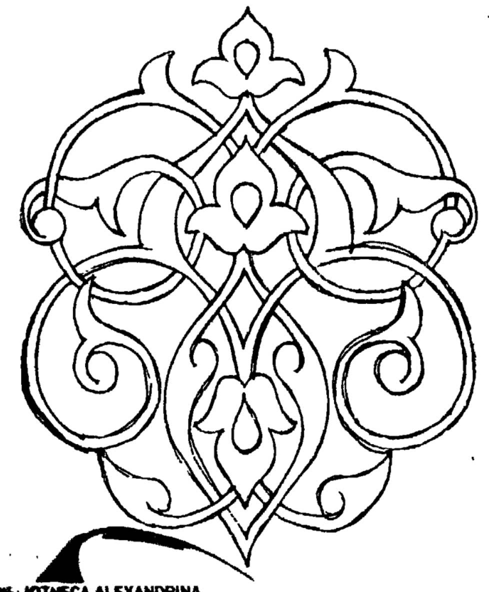
الملحق الأول

لوحة من الفن العربى توضح مفهوم الجمال



الملحق الثانى

لوحة أخرى من الفن العربى توضح مفهوم الجمال





فقرات عن المؤلف

- ولد بجزيرة حمور مركز مروى المديرية الشمالية جنوب دنقلا العجوز مد بصر عام ١٩٣٥ ·
- ليسانس فى اللغة العربية وآدابها والدراسات الاسلامية جامعة القاهرة دار العلوم
- دبلوم فى التربية وعلم النفس والطرق الخاصة · جامعة الاسكندرية ·
- دبلوم الدراسات العليا جامعة القاهرة ·
- ماجستير فى البلاغة والنقد الأدبى والأدب المقارن جامعة القاهرة · الموضوع « الصورة الشعرية عند المعرى »

- دكتوراه فى البلاغة والنقد الأدبى والأدب المقارن جامعة القاهرة الموضوع « جوهرية الفن وماهية الصورة »

- عمل بالمدارس الثانوية · وبمعهد التربية شندى عميدا لثانوى المعلمين ، وبالمناهج والكتب ، وبكلية المعلمين بخت الرضـــا ، وبالدامر كبير الموجهين الفنيين ، وباليونسكو العربى بالصـــومال ، وبجامعة جوبا · الآن معارا لجامعة باتنة بالجزائر ·

- له من المؤلفات « الصورة الشـــعرية عند الأعشى » « الصورة الشعرية عند المعرى » « المعرى من المهد الى اللحد » « الشرح الأمثل للمعلقات » أنجز منه معلقة الأعشى وعنترة · « رســـالة ســـيدنا عمر القضائية » دراسة شاملة قانونية تاريخية أدبية · « جوهرية الفن وماهية الصورة » وكلها جاهزة للطبع ·· عدا المقالات بالصحف والدوريات ·

الفهـــرس

رقم الايداع ٨٨/٣٥٦٥

الترقيم الدولى ٥ ـ ١٧٦٢ ـ ٠١ ـ ٩٧٧

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

à une notion exacte de la beauté qui s'applique à la beauté où qu'elle soit qu'elle que soit la forme qu'elle prend.

Elle répond à toutes les questions qui viennent à l'esprit ses rapports, ses domaines avec le bien, le vrai, le mal, la laideur mais chaque règle à ses exceptions et l'exception, comme on dit confirme la règle.

Le mérite revient principalement à l'esprit de synthèse sinon, les specialistes en philosophie et les professeurs d'esthètiques dans les universités europóennes et autres seraient plus proches de la vérité.

Mais ceci est un don de Dieu qui le dispense à qui il veut, je dis celà non par modestie, ou semblant de modestie, dieu .

Il s'agit d'un essai il peut prétendre à la vérité, mais il peut s'écarter de la réalité mon souhaité c'est de pouvoir voir juste et vrai, si je suis dans l'erreur, je m'excuse auprès de mon cher lecteur puisse, Dieu nous aide ! Moi et Toi Dieu qui aide.

UNIVERSITE DE BATNA ALGERIE

MARDI, 23 CHAABANE 1404 H

22 Mai 1984

ı l'université en tant qu'étudiant. Mon intérêt y ɜst pour quelque chose avant la tentative j'ai pensé ı la méthode réféxion faite, j'ai pensé me baser sur l'observation de la beauté inscrite dans le réel. Aussi il m'a semblé plus fructeux d'esquisser une approche originale plutôt que de se baser sur ce qui a été dit. Après la constation des approches contradictoires concernant l'esthètique : Ancienne, jeune comme l'affirment Dr. El-Ahouani et Amira Matar Ceci est la réalité de l'esthètique. Descartes le nie catégoriquement.

Loin de moi toute idée de nier la position des philosophes et des penseurs en la matière. Manis je compte user de l'observation et de l'intuition pour appréhender la beauté présente à l'instar des anciens philosophes. Il est impossible de réaliser quoique ce soit sans compter sur les efforts précédents.

Rien ne vient du néant ou du vide c'est pourquoi j'ai commencé à contempler la beauté de aradans les abstraits comme s'il s'agit d'une étude scientifique fondée sur l'observation et l'expérimentation et non une étude humaine basée sur l'abstrait et la théorique.

Cette méthode ne m'a pas rahi j'ai pu arriver

C'est cette situation qui fait dire à un penseur tel le Docteur Ahmed Fouad El Ahouani, à propos de l'esthétique ceci «cette jeune science,n'a pas encore atteint sa maturité il est difficile aussi de le soumettre aux méthodes scientifiques. Le dernier mot reste au goût et le goût est une chose qu'on trouve pas dans les livres.» Amira Helmi Matar tient des propos analogues : «cette science naissante d'après son histoire et son évolution depuis Platon jusqu'aux temps modernes » (Cf l'esthétique Denis Hyusann, traduction Amira Helmi Matar par Dr. Ahmed Fouad El-Ahouani 1959 P. 40).

Cette situation dicte au philosophe Fraçais Descartes sa négation de l'art de la science esthétique et de toute valeur esthétique. Selon lui l'esthètique n'existe pas car elle n'est pas mesurable. (Cf R. GARAUDY in El — Mousswar 3047 P. 34).

Ceci est le résumé de différents points de vue. Et ils sont nombreux.

Cela veut dire qu'il ya un problème qu'il faut résoudre. La solution est difficile mais elle est possible, en principe.

Alors j'ai tenté de trouvé la solution (mon intèrêt pour l'esthétique date de mon passage

NATURE DE L'ESTHETIQUE ET DE L'ART

Ecrit par Dr. ABDALLA SHEIKH AWOUDA SOUDANAIS — Doctorat d'Etat en Rethorique, Critique et Littérature Comparée.

RESUME DU LIVRE

C'est un livre qui se compose de 120 pages approximativement de moyen-format j'y traité le problème de l'Esthétique et de l'Art car la question de l'Esthètique est l'une des domaines qui a interpellé la pensée humaine depuis Platon jusqu'à nos jours. Ainsi que l'Art malgré celè, et malgré l'encre versé, les chercheurs, les penseurs, les philosophes n'ont pas pu élucider sa nature ou détorminer son rôle dans la vie, ainsi que son rapport avec le bien d'une part et le vrai et l'art d'autre part d'aucuns parlent de la subjectivité de l'esthétique, d'autre de son objectivité. Les uns le rattachent à l'utile, les autres nient ce rapport l'art est pour l'art et non pour la vie d'où les multiples contradictions.

موضوع الجمال من الموضوعات التي شغلت الفكر الإنساني منذ عهد أفلاطون إلى اليوم. ورغم هذا لم يتوصل الباحثون والمفكرون والفلاسفة إلى حقيقته فمن قائل بذاتيه، ومن قائل بموضوعيته. ومن قائل بعلاقة الجمال بالنفع، ومن قائل بنفى هذه العلاقة فالفن للفن لا للحياة. وهكذا من النقيض إلى النقيض.

هذا الوضع هو الذى جعل عالما كالدكتور أحمد فؤاد الأهواني يقول عنه «إن هذا العلم حديث الميلاد لم يشب بعد عن الطوق فضلا عن صعوبة إخضاعه للمناهج العلمية» بل جعل ديكارت لا يعترف بوجوده لأنه غير قابل للقياس.

وهذا يعنى أن هنالك مشكلة. وأن هنالك دعوة ضمنية لحلها. وقد أخذ الدكتور عووصه فى هذا الكتاب يحاول الحل بمنهج يعتمد على الملاحظة وإعمال الفكر بجانب الاستعانة بالتراث العالمى منذ عهد أفلاطون الى كروتشيه. وبه توصل الى مفهوم علمى محدد للجمال يجيب على أى سؤال عنه وعن علاقاته المتداخلة بالخير والحق... دون أى شذوذ يعتذر عنه بعبارة «لكل قاعدة شواذ» كل هذا فى أسلوب سهل أقرب مايكون إلى لغة الحياة اليومية، رغم معالجته لقضايا علمية عويصة، وفلسفية معقدة.

لهذا قال بعض ممن اطلعوا على هذا الكتاب قبل أن يطبع: إن هذا الكتاب يعد إضافة حقيقية فى مجال فلسفة الجمال ... والأدب. وقال البعض: بل ستكون له مكانة خاصة ... العلمى والأدبى. ككتاب «فن الشعر» لأرسطو. لذا ... المصرية العامة للكتاب أن تقدمه للقراء.

الكتاب القادم

آراء فلاسفة وعباقرة الغرب فى الإسلام

زكريا هاشم زكريا

٥٠ قرشا

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب